روايات رومانسية عالمية

عبير

آن هامبسون

النَدم

www.elromancia.com

مرمورية

مكتبة هلا

روايات رومانسية عالمية

عبير

الندم

أحيانا يرفض المرء شيئاً يريده في قراءة نفسه، وجين عندما طلب سكوت الزواج منها رفضت، معتبرة لطفه وحنانه نوعاً من عدم الشخصية والقدرة على السيطرة، وقالت انها تريد رجلاً قوياً ينفّذ لها جميع رغباتها...

تركها سكوت واستسلم لأحزانه ومرارته قائلا لنفسه كلّ شيء قسمة ونصيب... وفقدت جين الأمل. وبعد مرور أربع سنوات التقته وذاقت طعم قسوته وعجرفته وغروره. حاول الأنتقام لكرامته الجريحة وعندما قبلت العمل كسكرتيرة له عذبها وقهرها. ولم يرحم قلبها من الشك والغيرة والألم. جين لم تنم الليل بسبب الندم الذى أحرق أيامها.

ليس شقيقها، تواطأ معها في خدعة هدفها الحصول على وظيفة لكن سكوت كشف لعبة الخداع وكان غضبه نارا أكلت الأخضر واليابس وهددت جين بالويل. فهل تعترف جين لسكوت بالسرّ... هل تعترف له بحبها وندمها لأنها رفضت الزواج به أم تهرب مع شقيقها من جزيرة باربادوس؟

مكتبة زهران

١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر

ت/٥١٤٢٩٥٥ - ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE WAY OF A TYRANT

١ ـ رجل من الشمع!

عبست جين كوتس، وظلت صامتة مدة طويلة قبل أن ترد على سؤال أخيها قائلة:

«لا أستطيع يا ليس، قلت لك هذا من قبل، أود مساعدتك ولكنني لا أستطيع التورط الى هذا الحد.»

كانت تجلس أمامه حول مائدة الافطار، وعيناها على الرسالة التي التقطها منذ لحظات من الأرض في الردهة، وقال ليس:

«لا توجد أية ورطة، الواقع أن الوضع بسيط جداً في رأيي، فليس لنا أبوان نفكر فيهما، ونستطيع ترك منزلنا لعميل يؤجره لحسابنا، فلا نبيعه في هذه المرحلة حتى نقرر إذا كنا نستطيع الاستقرار هناك.»

«لا أفكر في هذا... ولكنها مسألة الخداع يا ليس وأنا لا أتقنه كما تعرف.»

ومضى ليس يشرح وجهة نظره قائلاً:

«من الذي سيعرف أننا لسنا زوجاً وزوجة؟ انّ هذا الفندق الذي عرض عليّ أن أكون مديره، ليس إلاّ واحداً من سلسلة فنادق فخمة في جزر الهند الغربية. ومتأكد أن أحداً لن يأتي ويتحرى عن حياتي الخاصة هناك.»

«هل أنت متأكد من أنك أنهيت علاقتك مع كارولين؟ أقصد ألا تغريها الحياة في الباربادوس؟»

«كان واضحاً أنها لم تكن جادة إطلاقاً، عندما قدمت طلباً لشغل الوظيفة. كنت واثقاً أن في وسعي تنفيذ الشرط، وهو أن أكون متزوجاً، وأصبت بصدمة كبيرة عندما رفضتني كارولين.»

وعند هذه النقطة تدفقت الذكريات أمام عيني جين وفكرت: كان سكوت كنغزلي هو الآخر أصيب بصدمة كبيرة منذ أربع سنوات عندما رفضت عرضه للزواج. مشكلة الرجال أنهم يفترضون أن الفتيات لاتفكرن إلاّ في الزواج! ربما كن كذلك في وقت من الأوقات، ولكنهن لم تعدن تحلمن بالزواج فقط الآن، منذ حصلت حواء على استقلالها... وبالنسبة الى سكوت كان لديها سبب وجيه جداً لرفضه. وابتسمت جين مرة أخرى عندما تذكرت كيف أخبرته بكل صراحة أنه ليس من الطراز الذي تحبه، وأنه لايتسم بشخصية قوية، بل هو لطيف أكثر مما يجب، وهي ليست بحاجة الى رجل تستطيع لويه حول أصبعها!

وتوقفت ذكريات جين عندما بدأ أخوها يتكلّم ثانية محاولاً اقناعها، فأخبرها أنه لايستطيع رفض الوظيفة، لأنها فرصة العمر كله. أما بالنسبة الى جين فهي تحب الشمس والبحر وتستطيع الاستمتاع بهما على جزيرة بربادوس المرجانية الجميلة.

وتمتمت شاردة الذهن:

«ووظيفتي!»

«منذ عدة شهور وأنت تشكين من أنك لم تعودي سعيدة بعد وصول رئيسك الجديد، وفي الأسبوع الماضي فقط قلت انك ستبحثين عن وظيفة أخرى!»

وكان هذا صحيحاً، فقد كان السيد هورسفيلد مختلفاً جداً عن رئيسها القديم السيد غرانت الذي وصل الى سن التقاعد، والرئيس الجديد يقضي معظم وقته باحثاً عن أخطاء سلفه وهؤلاء الذين عملوا معه. ووافقت جين أخيراً وقالت:

«سوف أفكر في الأمر، ولكن لاتمعن في التفاؤل. انني أحب فكرة الحياة على

الجزيرة ولكنني لا أحب فكرة الخداع.»

وهز ليس كتفيه وكرر أن أحداً لن يأتي ويتحرى عن حياته الخاصة وأضاف مؤكداً:

«ان الجو رائع... سوف تستمتعين بالشمس، وهناك مطر يجعل النباتات خضراء يانعة، وهناك أيضاً الرياح الرطبة التي تهب طوال الوقت.»

«كنت مشغولاً هذه الأيام.»

«طبعاً... منذ اللحظة التي قدمت فيها الطلب لشغل هذه الوظيفة.»

«وماذا سيكون عملي بالضبط؟ لن يقتصر بالطبع على مجرد التحدث مع الضيوف بلطف، كما قلت لي في اول الأمر.»

«هذا كل ما عليك أن تفعليه، ليس عليك إلاّ السير في أنحاء الفندق وأن تبدي جميلة، وهذا لن يكلفك شيئاً.»

عبست جين لمجاملته وقالت:

«من الغريب أن المسؤولين لم يطلبوا رؤية زوجتك!»

«أخبرتهم أنني لم أتزوج بعد.»

«ان السيد سيندر هو الرجل الذي أجرى المقابلة معي في لندن كما تعرفين.»

وأخذ يراقب وجهها خشية أن تلوح عليه علامة رفض، ثم قال:

«كتب إلي يقول إنه يريد رؤية زوجتي.»

وهزت رأسها بطريقة آلية قائلة:

«هذا المساء؟ لا أستطيع يالبس، أنا آسفة.»

«هل أنت خائفة؟ لا أصدق... انك لم تظهري أي خوف طوال حياتك!»

واستمعت جين الى هذه العبارة بدون أن تبتسم. كانت هذه هي الحقيقة، الواقع أنها رفضت الزواج من سكوت بسبب قوة شخصيتها. انها لاتشعر بأي خوف ولم يكن لديها وقت لرجل يستجيب لكل نزواتها لمجرد أنه يخشى اغضابها، لو أنه فرض وجوده... لو أنه أظهر بعض التسلط لو أنه أثبت لها أنها لاتستطيع

www.elromancia.com

فعل كل ماتريده دائماً، لانتهت علاقتهما على نحو مختلف.

وعندما أدركت أن ليس في انتظار ردها قالت مكررة:

«لا أحب الخداع على الاطلاق.»

ولم يعلق فمضت تقول:

«وما هو المطلوب مني هذا المساء؟ أن أكون زوجتك أو خطيبتك؟»

«ستظهرين كزوجتي هذا المساء.»

عبست وقالت في لهجة إتهام:

«هل كذبت وقلت انك متزوج بالفعل؟»

«بعد المقابلة اتصل بي السيد سيندر تليفونياً وسألني عن موعد زواجي. كان واضحاً أنهم قبلوا تعييني في الوظيفة، ولذلك حددت له موعداً وكان منذ أسبوع!»

وزاد عبوس جين، ولكنها لم توجه كلمة لوم أو تأنيب لأخيها. كانت أمنيته هي العمل في الخارج. وهذه هي الوظيفة الخامسة التي قدم طلباً لشغلها. وقد أعطيت الوظائف الأربع الأخرى لرجال أكبر منه سناً. والواقع أنه حصل على هذه الوظيفة بفضل توصية ديفيدشور الذي يدير مع زوجته سوزان فندق النخيل في باتشيبا على الشاطىء الشرقي للجزيرة. كانا قد أدخلا تحسينات كبيرة في الفندق، وحظيا بتقدير شركة فنادق جزر الهند الغربية. ولذلك كان لتوصية ديفيد أثر كبير عند السيد سيندر، وهو الرجل المسؤول عن إجراء المقابلات مع طلاب الوظائف في لندن. بل ان فشل ليس في الحصول على الوظيفة يمكن ان يصيب ديفيد وسوزان بإحباط مرير، وكانت جين وأخوها صديقين لها قبل أن يذهبا ويقيما في باربادوس منذ ثلاث سنوات.

ونظر ليس الى الساعة وقال وهو ينهض واقفاً:

«سأذهب الآن.. لاتخذليني ياجين... أرجوك!»

نظرت اليه وهو يستقل سيارته، عادة يقيم في الفندق الذي يعمل فيه، انما

هذه المرة أخذ اجازة لمدة أسبوع، ومن الطبيعي أن يقضيها مع جين في المنزل الذي يمتلكانه. وكانت هي نفسها في اجازة لمدة أسبوع أيضاً، ولكن الاجازة انتهت وعليها العودة الى العمل اليوم، وغسلت الصحون بسرعة ورتبت سريرها، وارتدت معطفها وأخذت حقيبة يدها، وهرعت لتأخذ الأوتوبيس. وبينما كانت سائرة سمعت صوتاً يناديها، وعندما التفتت وجدت صديقتها دوريس تتوقف بسيارتها، وركبت جين بجانبها وسألتها:

«هل مازلت تعملين؟ ظننت أنك تركت العمل عندما تزوجت.»

«تركت العمل فعلاً، ولكننا لم نستطع العيش على مرتب زوجي، فعدت اعمل ثانية.»

«من الصعب الحياة على مرتب واحد... وكيف حال زوجك؟»

«بخير. على فكرة هل سيذهب ليس للعمل في باربادوس؟»

«لم يتقرر شيء بعد يا دوريس.»

«هل تقصدين أنه قد لن يقبل الوظيفة؟»

«لا أعرف يادوريس.»

«أعتقد أنك ستفتقدينه اذا سافر، كان يتعين عليك أن تتزوجي عندما أتيحت لك الفرصة؟»

والتفتت اليها جين وسألتها:

«كيف تعرفين أن فرصة الزواج أتيحت لي؟»

«الواقع لم أكن متأكدة، ولكن كان واضحاً جداً أن هذا الرجل سكوت كنغزلي واقع في غرامك، ولا بدّ أنه عرض عليك الزواج... أليس كذلك؟»

وردت جين على سؤال رفيقتها بقولها:

«لم يكن سكوت من الطراز الذي أحبه.»

وأعقب هذا صمت قصير، وبدت دوريس مترددة في أول الأمر ولكن فضولها تغلب عليها فقالت:

«لقد أشيع أنه أصبح رجلاً محطماً عندما رفضته.»

«رجل محطم؟ هراء! لم أسمع إطلاقاً بمثل هذا القول المضحك.»

«لقد رحل الى مكان ما... ولم يره أحد منذ أن افترقتا.»

وقالت جين بسرعة:

«ان الفراق ليست كلمة مناسبة، فلم نكن أنا و سكوت صديقين متلازمين.»

«ولكنك خرجت معه ياجين... شوهدت معه كثيراً في سيارته.»

«لقد تعشينا ورقصنا معاً عدة مرات، ولكنني لم أفكر فيه جدياً أبداً.»

«ولكن سكوت كان جاداً... على الأقل كل من كان يعرفه أحس بذلك.»

وتنهدت جين وقد نفد صبرها، من الغريب أنها شعرت بالاستياء من الاشاعة التي وضعت سكوت في موضع العاشق المرفوض، صحيح أنه لم يكن من الطراز الذي تحبه، ولكنه كان ساحراً رغم ذلك بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين، وملامحه الوسيمة وشعره البني وعينيه الزرقاوين العميقتين الصريحتين، وقالت جين:

«هذه هي محطتي.»

ونزلت من السيارة، فلم ترغب الاستمرار في حديث يثير ضيقها، على أن الحديث ظل معها. ووجدت نفسها تفكر أكثر في الرجل الذي تمنى أن يتزوجها. كان بعض معارف جين سمعوا عن أبيه الذي يمتلك عدة متاجر لبيع الأحذية، وقد أشيع أن سكوت اختلف مع أبيه بسبب رفضه العمل معه.

وعندما لمح جين لأول مرة أسرت قلبه، وأعقبت ذلك فترة قصيرة من الصداقة، أدركت جين خلالها أن كل نزواتها يحققها لها الرجل الذي يبدو شخصاً قوياً من مظهره الجسماني وتصرفه النبيل، والواقع أن جين دهشت لأنها تستطيع التصرف كما تريد وهي معه، كما شعرت أيضاً بخيبة أمل لسبب لم تستطع معرفته... كانت تحس بالفخر وهي في صحبته، لاشك في ذلك... لأنه يجذب اليه العيون لطول قامته ووجاهته، ويوحي بالاتزان والثقة ويثير الاحترام

أينما ذهب. وكان كل هذا يتناقض مع نعومته ولطفه مع جين... وهو أشبه بقطعة من الشمع في يديها، وكانت واثقة من أن ضعفه سينفرها منه لو أنها تزوجته، والواقع أنها منعت نفسها من الوقوع في غرامه بدافع حرصها الغريزي.

وتذكرت ذلك اليوم الذي صحبته فيه في سيارته الى شاطىء البحر، وبعد أن تريضا سيراً على الأقدام على الشاطىء الهادىء، ثم جلسا تحت ظل شمسية، طلبها للزواج... ان جين لم تستطع أن تنسى تعبير وجهه.... لم تنس الدهشة وعدم التصديق عندما رفضته! قال لها:

«انني أحبك ياجين... وأقسم أنك تبادلينني الشعور نفسه.»

كان واضحاً أنه لم تكن لديه خبرة بالنساء، ولم يكن يروق لها الرجل عديم الخبرة، اعتقدت أن الرجل يتعين عليه أن يعرف الكثير عن المرأة قبل أن يقرر الزواج، وسألها:

«هل ترفضينني حقاً؟»

«نعم ياسكوت، أنا آسفة.»

ولأول مرة كاد يغضب... كاد فقط فلم تكن لديه حتى القدرة على الغضب من قرارها، وسألها:

«لماذا ترفضينني ياجين؟ على الأقل أخبريني لماذا؟»

وقالت له الحقيقة... أخبرته أنه ليس من الطراز الذي تحبه، وعندما سألها في دهشة عن الطراز الذي تحبه وقعت في مأزق! كيف تقول له انه لين لطيف أكثر مما يجب؟ كانت تأمره فيلبي أوامرها... لقد تعمدت مرة أن ترفض الذهاب الى المكان الذي اقترح أن يتناولا فيه العشاء، فقالت له بتعال:

«أريد أن أذهب الى مطعم غراند!»

«كما تريدين ياعزيزتي!»

ان استسلامه السريع جعلها تحتقره، ومن الغريب أنه خيب أملها أيضاً، من أي نوع من الرجال هو حتى يسمح لنفسه بالانسياق لرغباتها دائماً؟ وكيف ترضى

بأن تتزوج سمكة هلامية بدون عمود فقري؟ وفي النهاية اضطرت جين، تحت الحاح سكوت، أن تقول له بصراحة انه يفتقر الى قوة الشخصية التي تحتاج اليها لسعادتها، ودهش وسألها:

«كنت أعتقد دائماً أن المرأة تريد الرقة واللطف في زوجها.»

«نعم...نعم، ولكنها تريد أيضاً أن يرغمها على النظر اليه... يجب أن يتسم بشيء... من ...من السيادة.»

وهز سكوت كتفيه وقال:

«هذا شيء مؤلم لكل منا، فلنترك هذا الموضوع... كنت سعيداً بمعرفتك، ولكن هذه هي النهاية، شكراً.»

وتوقف لحظة... وشعرت بغريزتها أنه كان يسأل نفسه... لماذا أفشل؟ ثم قال:

«الواقع أنك قلت انني ضعيف، كما لمحت أيضاً الى انه ليست لدي خبرة بالنساء»

وردت وهي تشعر بالحرج والذنب لأنها أهانته إهانة بالغة:

«أرجوك باسكوت... دعنا نترك هذا الموضوع.»

ونظر اليها... رأت الوجوم في عينيه، الوجوم الذي يدل على ألم يمس القلب. يبدو في نظرها أصغر من سنه، لو كانت هي نفسها في السابعة عشرة من عمرها لاختلف الأمر، ولكنها في العشرين، واثقة من نفسها، تعرف تماماً ما تريده في الرجل الذي تقبله زوجاً.

وعندما وصلت جين الى مكتبها انشغلت بأمور أخرى، واختفت صورة سكوت من ذهنها، ولكنها عادت ثانية وقت الغداء وبدون سبب واضح. ووجدت نفسها تتساءل: ترى ماذا حدث له؟ توفي والده وأشيع أن سكوت باع متاجر الأحذية وذهب يبحث عن شيء آخر يستثمر فيه أمواله، ثم اختفى، ولم تسمع جين شيئاً عنه طوال أربع سنوات، ومن الغريب أن وجهه ظل واضحاً في ذاكرتها تستوعبه كلما أرادت!

في ذلك الوقت كان ليس يعمل في اسكوتلندا مديراً لفندق في أدنبرة، ولم

يكن سكوت قد رآه، كذلك جين لم تتعرف على والد سكوت أو أخته التي تكبره بعشر سنوات، المتزوجة من رجل امريكي، أقامت معه في ديترويت. وتصورت جين أن سكوت قد تزوج، فهو وسيم يمكن أن يجذب عدداً كبيراً من النساء، كما أنه كان يريد الزواج، أنه طلب يد جين بعد خمسة أسابيع فقط من لقائها لأول مرة.

وفي هذه اللحظة أطلت زميلة جين برأسها من الباب وقالت لها:

«تعالي نتريض قليلاً ياجين... انه يوم جميل... فلنسر عشر دقائق في الشمس.»

ووافقت جين وأخذت حقيبة يدها وصحبت بيريل. وبعد أن سارتا مسافة قليلة زلت قدم بيريل واختل توازنها ووقعت على الأرض. وبسرعة اجتمع الناس حولها، وتوقفت سيارة وساعد السائق بيريل على النهوض، وصحب الفتاتين في سيارته الى المستشفى حيث بقيت بيريل وعادت جين وحدها الى مقر عملها متأخرة، ووجدت الرئيس الجديد يجلس خلف مكتبه وكأنه قاض... ولما سألها عن سبب تأخيرها قالت:

«لقد صحبت زميلتي الى المستشفى ياسيد هورسفيلد.»

«كان يمكنك أن تتركيها في صحبة سائق السيارة التي أقلتها الى المستشفى، قلت أكثر من مرة انني لن أدير هذا المكتب كما كان يدار من قبل... انك في أجازة بأنسة ابتداء من يوم الجمعة!»

وأشتعلت عيناها بالغضب ولكنها لم تقل شيئاً. وفي ذلك المساء، صحبت أخاها الى منزل السيد سيندر، حيث قابلها برقة، وقال لها انها ستكون عوناً لزوجها في عمله الجديد كمدير لفندق كورال غيبلز في باربادوس.

وقفت جين على الشاطىء، برداء البحر. وكانت بشرتها قد اكتسبت سمرة ذهبية رائعة، أبرزت جمال شعرها الأصفر الذي انسدلت خصلاته اللامعة فوق كتفيها وكأنه عباءة بديعة... انها صورة للصحة الموفورة وهي تقف هناك مستندة برشاقة على شجرة النخيل الباسقة، حان وقت تناول الشاي. وبدا الشاطىء،

الخاص التابع للفندق خالياً تقريباً، وركزت نظرتها الحالمة على المياه الزرقاء التي تتهادى على الشاطىء بدون همسة...

كانت الجزيرة أشبه بجنة استوائية، رائعة برمالها المرجانية، ونخيلها الباسق وعبق أزهارها المثير، وسكانها الذين عرفوا بكرمهم وروحهم الودية.

وفجأة جذب اهتمامها رجل يتقدم نحوها... وفكرت... ياله من رجل طويل... كان يخطو بسهولة ورشاقة وكأنه لايلمس الرمال... كان يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً بأكمام قصيرة وصندلاً في قدميه. ومن الواضح أنه قدم من الفندق، وإلاّ لما سمح له بالنزهة على شاطئه الخاص وقبل أن يصل اليها شهقت غير مصدقة:

«سكوت! لايمكن.»

كان من الممكن أن يمر أمامها بدون أن يراها، ولكنه توقف وبدت عليه دهشتها نفسها وصاح:

«جين؟»

وظل فترة طويلة يحدق في وجهها الجميل، الذي يدل على القوة والشخصية المستقلة ويتسم بملامح متناسقة رائعة...ومرة أخرى صاح يسألها:

«ما الذي جاء بك الى هنا؟»

شعرت بشيء من الحرج ولكنها استطاعت في الوقت نفسه ملاحظة التغييرات الواضحة التي طرأت عليه خلال السنوات الأربع. ظهرت بعض الخطوط والتجاعيد في وجهه، وبرقت عيناه الزرقاوان بوميض ساخر، وحتى صوته بدا حاسماً جاداً رزيناً، لايمكن أن يكون صوت الرجل الذي كانت تعرفه. وحاولت رسم ابتسامة على شفتيها، وأخيراً قالت:

«انني أقيم في الفندق.»

«اذن أنت أيضاً في أجازة، يالها من صدفة! منذ متى قدمت الى هنا؟»

وترددت، وشعرت بشيء من الضيق، وأخذت تحرك يديها فظهر خاتم الزواج، وأخيراً قالت:

«انني في أجازة...»

«هل تزوجت؟»

قال سكوت هذا وعيناه على الخاتم، كم أصبح مختلفاً عن الرجل الذي كانت قد عرفته، ومضى يقول:

«هل استطعت أن تجدي مثلك الأعلى؟ الرجل القوي بسهانه المتسلطة الضرورية لسعادتك؟»

واحمر وجه جين وردت:

«آسفة اذا كنت قد أهنتك ياسكوت.»

«أهنتني؟ كانت الذكرى تسليني فقط! انك لم تردي على سؤالي، هل وجدت هذا الطاغية المستبد الذي يسعدك بالخضوع له؟»

وزادت حمرة وجنتي جين غضباً، وكان من الصعب عليها أن تتمسك بآداب السلوك فانفجرت قائلة:

«انك تهينني ياسكوت، ان مثل هذه السخرية تعني وقاحة سافرة!»

ولم يهتم بهذا التأنيب، كان محصناً ضده، ولم تستطع جين التصديق بأن هذا الرجل هو الذي كان رقيقاً جداً، لطيفاً جداً... طيباً جداً... ومهما امتد خيالها لاتتصور أنه لطيف الآن... لقد كان عكس ذلك في الواقع، وسألها بشيء من الفضول:

«أعتقد أن زوجك معك!»

«أنا... نعم... انه معي...»

قالت ذلك ببطء محاولة إخفاء الكذبة المتعمدة التي بدت على شفتيها، من الصعب عليها أن تكذب على سكوت! الأسبوع الأول الذي قضته في الفندق مر بسلام، حتى كادت تنسى وضعها المزيف كزوجة لمدير الفندق، أما الآن فشعرت بالحرج وأدركت تماماً أن زوجها لابد أن يظهر في الصورة. وأخبرته انه مدير فندق كورال غيبلز ورفضت أن تكون صريحة معه، وتكشف له عن

www.elromancia.com

حقيقة اللعبة، وتوضح أن الخداع جاء نتيجة رفض خطيبة شقيقها الزواج منه.

وبدا في عيني سكوت تعبير غريب جداً... وأشاح بوجهه وأخذ يتطلع الى بعض الأشخاص الجالسين بعيداً على الشاطىء، تعمد تجنب النظر الى عينيها، ووجدت جين في هذا معنى أثار قلقها، وسألها وهو ينظر ساهماً الى أصابعها:

«ألم تغيري اسمك بعد الزواج؟»

وشعرت بالارتباك والحيرة وهو يحاول أن يتجنب النظر اليها. بدت نبرة صوته الناعمة مشوبة بشيء غامض غير محدد أثار الرعشة في أعصاب جين... هناك شيء غريب في سلوك سكوت الذي لم تعرف عمق أغواره...وسألته وهي تحاول تغيير الموضوع:

«متى وصلت؟»

«منذ حوال ساعة.»

«ألم تحجز غرفة مقدماً؟»

وتساءلت... ترى ما الذي كانت ستفعله لو أنه حجز مقدماً وقرأت اسمه بين أسماء الضيوف المتوقعين؟ وأدت هذه الفكرة الى سؤال آخر... سؤال أفلت منها رغماً عنها:

«هل أنت بمفردك؟»

ولاحت شبه ابتسامة على فمه وقال:

«انني بمفردي تماماً.»

وبعد وقفة صغيرة أضاف:

«هل تريدين أن تعرفي اذا كنت متزوجاً؟»

«طبعاً لا... لماذا أهتم بذلك؟»

وهز سكوت كتفيه وقال موافقاً بلا اهتمام:

«لا يوجد سبب معين، ولكنني ظننت فقط أن سؤالك قد يخفي تساؤلاً!»

ومرت لحظة صمت أخرى، كانت ابتسامته الساخرة مقدمة لعبارات احتقار،

وقال:

«لقد اكتشفت أن الزواج ليس ضرورياً، لماذا يتحمل الرجل أية مسؤولية عندما يستطيع الحصول على كل المسرات بدونها؟»

ولم ترد وأضاف قائلاً:

«انني مدين لك بالشكر لأنك رفضتني ياجين، وسوف أظل أشكر فضلك دائماً.»

وظلت جين صامتة... واستمر يقول بلهجته الساخرة:

«اننا نقدر الزواج أكثر مما يجب، وهو أمر غير ضروري إلا للأشخاص الرومانسيين جداً.»

وأخيراً قالت جين وكأنها لاتصدق:

«لقد تغيرت كثيراً... كنت... كنت...»

وتوقفت الكلمات في حلقها... لم تستطع أن تكون صريحة مع هذا الرجل كما كانت مع سكوت كتغزلي الذي كانت تعرفه منذ أربع سنوات!

«كنت ضعيفاً جداً أفتقر الى السيطرة... أعتقد أنه تغيير نحو الأفضل اليس لذلك؟»

«انك ساخر.»

«السخرية تأتي من الخيرة.»

ولاحت ابتسامة احتقار في هاتين العينين العميقتين الزرقاوين. وغيّر الموضوع بسرعة، وتغيّر أيضاً تعبير وجهه، ومرة أخرى لم تستطع فهم كنهه. فقال:

«ان زوجك لم يبد في نظري من الطراز المستبد الآسر. أرجو ألا تكوني مصابة بخيبة أمل؟»

وبلعت ريقها بصعوبة محاولة أن تتذكر اذا كانت قد أخبرته بالاسم الأول لأخيها أم لا... لابد أنها أخبرته، ولم يكن أمامها إلا أن تأمل أنه قد نسيه الآن، كان مطبوعاً على كتيبات الفندق واذا لم يكن قد نسيه فانه سيبدأ في الشك في

www.elromancia.com

شيء، وقالت لنفسها... ان الأمر لايهم في أية حال... انه مجرد ضيف وسوف يغادر الفندق قريباً... وعندما سألته الى متى سيقيم في الفندق تلقت الرد التالي:

«حتى أقرر الرحيل!»

وشعرت جين أنه أوقفها عند حدها، فأحنت رأسها في ارتباك. لم تصدق أن سكوت قادر على إزعاجها على هذا النحو... سكوت الذي احتقرته وشبهته في سرها بسمكة هلامية بدون عمود فقري!

وعندما لم تعد تطيق الصمت الطويل قطعته بقولها:

«أين تعيش الآن؟ لقد سمعت أنك تركت منزل أبيك بعد موته.»

ولم يرد بسرعة، نظر الى الشاطىء بدون اهتمام وكأنه تعود على مشاهدة مثل هذه المناظر الجميلة ثم قال باقتضاب:

«لقد بعت البيت في انكلترا.»

وشعرت جين بعدم ارتياح، ومرة أخرى أدركت أنه أوقفها عند حدها، وتمتمت قائلة:

«يجب أن أذهب الآن.»

«أعتقد أنك تساعدين زوجك.»

«قليلاً... ليس لدي عمل كثير.»

«صحيح؟ كنت أظن أن إدارة مكان مثل فندق كورال غيبلز يحتاج الى جهد مشترك!»

قالت وهي تخط دائرة في الرمال بقدمها:

«انني أتحدث الى الضيوف، ونتناول معهم العشاء كل مساء.»

«لا بد أنه عمل سار...»

وأومأت وبدأت تسير ثم قالت:

«نعم... انه سار فعلاً... من حسن حظنا أننا تمرنا عليه، أقصد من حسن حظ زوجي على الأقل.»

سألها:

«منذ متى تزوجت؟»

وقطبت جبينها، وتمنت لو أنها تركته قبل أن يوجه لها هذا السؤال:

«منذ فترة قصيرة... كان لابد أن يعقد زوجي قرانه حتى يحصل على الوظيفة.»

وحبست أنفاسها خشية أن يكون قد خمن لماذا لم تشر الى ليس باسمه الأول، ومرة أخرى سألها:

«لم تخبريني منذ متى تزوجت؟»

«منذ أسابيع قليلة... لقد وصلنا الى الفندق منذ أسبوع فقط سوف أتركك الآن...»

ولكن سكوت أسرع من خطاه وظل بجانبها وقال برقة:

«انني شخصياً عائد الى الفندق.»

ولم يكن أمامها إلاّ أن تتركه يسير الى جانبها.

www.elromancia.com

٢ ـ الشواطىء الباهتة

ظلت جين فترة طويلة تشعر بعبء مقابلة سكوت غير المتوقعة، وبعد أن غيرت ثيابها، ذهبت تبحث عن أخيها في مكتبه. وابتسم عندما رآها وسألها:

«هل حدث أي سوء؟»

وأغلقت الباب وتقدمت نحوه وسألته:

«كم من الوقت سيبقى السيد كنغزلي في الفندق؟»

وزاد عبوس أخيها وقال:

«لا أعرف، وهل هذا مهم؟»

«كنت أعرفه في انكلترا، وخرجنا معاً عدة مرات. وطلب مني الزواج.»

«صحيح؟ لم تذكري إطلاقاً أن أحداً عرض عليك الزواج.»

«لقد رفضته. فلم نكن متناسبين.»

ومضت تروي له كل شيء، ثم قالت:

«ما يزعجني أنه قد يخمن بأننا لسنا زوجين. انا واثقة من أنه لا يستطيع أن يفعل ما يؤذيك، ولكنني سأكون سعيدة عندما يرحل.»

«هل ذكرت اسمي له منذ أربع سنوات؟»

«طبعاً... أعتقد أنني ذكرت اسمك، ولكن يحتمل جداً أنه نسي الاسم بعد كل هذه المدة.»

وبطريقة آلية تناول ليس كتيب الفندق الموضوع على مكتبه، كان اسمه مطبوعاً عليه باعتباره المدير السيد ليس كوتس، وأطلق ليس زفرة صغيرة. ثم قال:

«من سوء الحظ أن كلاً منكما يعرف الآخر، ولكنه كما تقولين لايستطيع ايذائي. ولا أعتقد أنه يريد ايذاءك.»

وقالت جين معترفة:

«فعلاً، لا داعي لقلقي هذا.»

«لا أظن أنه سيبقى فترة طويلة طالما أنه وحده.»

ولاحظت جين أن أخاها مشغول بكتابة ورقة أمامه، فاستدارت نحو الباب وقالت:

«سأذهب الآن... وسأراك وقت العشاء.»

كانت غرفة الطعام مفروشة بسجاد سميك، ومضاءة بأنوار خافتة، ومملوءة بالزهور في كل مكان، والموائد متناثرة الى جانب الجدران بينما ترك مكان في الوسط للرقص، والفرقة الموسيقية تعزف ألحاناً ناعمة من موسيقى جزر الهند الغربية.

جلست جين وأخوها مع أسرة أمريكية، بينما جلس سكوت بمفرده الى مائدة قريبة منهم. حيا جين بابتسامة باهتة عندما دخل القاعة. وتساءلت، ترى هل يشعر بشيء من الضياع وهو يجلس هناك وحده؟ ولكن بعد فترة نهض واقفاً وراقص إحدى الفتاتين الانكليزيتين اللتين حضرتا منذ عدة ساعات فقط.. ولم تستطع جين انتزاع نظراتها عن سكوت، الذي برز بقامته الطويلة بين الراقصين، كان شامخاً واثقاً من نفسه... وأخذت جين تراقبه مبهورة ولمحت ابتسامة ساخرة على شفته، ورأت عينيه تنظران الى وجه رفيقته في الرقص بتعبير لايمكن وصفه إلا بأنه ينم عن الاحتقار، ترى ما الذي قالته الفتاة حتى أثارت هذا التعبير؟ وفجأة احمر وجهها عندما أدركت أن سكوت يشعر بنظراتها المركزة عليه، فرفع أحد حاجبيه في عجرفة ظاهرة، وأرخت جين أهدابها وركزت

على الطعام. وتعمدت طوال نصف الساعة التالية أن تشيح بنظراتها بعيداً عن الرجل الجالس الى المائدة المجاورة. على أنه عقب انتهاء تناول الطعام تقدّم نحوها واضطرت الى الرقص معه. ونظر اليها أخوها وابتسم. وبدا واضحاً أنه لايشعر بأي قلق بالنسبة للخداع الذي يمارسه. وبعد دقائق قال سكوت لجين بلهجة عابرة:

«لاتزالين ترقصين بخفة ياجين.»

«شكراً.»

«لم أر زوجك يرقص.»

«انه لا يرقص.»

«ولكن يجب عليه أن يرقص... قد تحضر الى الفندق نساء بمفردهن ومن واجبه الترفيه عنهن.»

كانت في صوته نبرة حادة أفزعت جين، وفتحت فمها لتقول إن هذا الموضوع ليس من شأنه. ولكنها أغلقته ثانية عندما تذكرت أنه ضيف. وقالت محاولة تغيير الموضوع:

«هل زرت باربادوس من قبل؟»

«نعم. أعرف الجزيرة جيداً.»

«صحيح؟ هل أقمت هنا من قبل؟ في هذا الفندق بالذات؟»

«أقمت في عدة فنادق على هذه الجزيرة، ومن بينها هذا الفندق.»

«ان لنا أصدقاء يديرون فندق النخيل في باتشيبا. هل أقمت هناك؟»

«نعم.»

ونظرت جين الى وجهه، وفوجئت بنظرة غريبة ثم ابتسامة تنم عن الرضى، وأحست بانطباع غريب وهو أن سكوت كنغزلي كان يخطط لشيء معين، وحاولت ان تتخلص من هذا الأحساس. كان التغيير الذي طرأ على الرجل مذهلاً، ولعله سبب الأحاسيس الغريبة التي استولت عليها. كان أعمق... لا تعرف مدى

عمقه... فيه سرّ غامض... وتساءلت ترى ماذا يعمل ليكسب عيشه؟ ولم تستطع السيطرة على فضولها فسألته:

«أشيع أنك لم تحتفظ بتجارة أبيك. هل تعمل في مجال آخر؟»

«نعم. أعمل في مجال آخر.»

كان رداً غير ملتزم. ولم تعرف الآن أكثر مما كانت تعرفه قبل أن توجه اليه السؤال. في نبرات صوته سخرية جافة أسكتتها. وظلت صامتة حتى انتهت الموسيقى. وصحبها سكوت الى مائدتها ثم قال:

«يحتمل أن نتقابل فيما بعد.»

ثم تركها.

وشعرت بتوتر لاتعرف سببه. بارتياح عندما غادرت المطعم وذهبت الى غرفتها. لماذا ينتابها مثل هذا الشعور؟ لماذا تبدو خائفة من سكوت وبدون أي سبب معقول؟ كان مجرد ضيف. وسوف يرحل بعد فترة قصيرة. وقد لاتقابله بعد ذلك أبداً. إلا اذا جاء الى الفندق في المستقبل. وهو ماتتمنى ألا يحدث.

وأخيراً نزلت الى غرفة الجلوس ثم خرجت الى الشرفة كانت النباتات الاستوائية الثرية تنمو في كل مكان. وتشكل جزءاً من الحدائق الفسيحة المحيطة بالفندق. والضيوف يرتدون ملابس السهرة ويجلسون حول موائد زجاجية وضعت عليها شموع في أباريق ملونة. والسقاة يتنقلون في صمت بين الموائد. ويبتسمون بأدب وهم يقدمون المشروبات. والشاطىء المحفوف بأشجار النخيل يتقوس ناحية منطقة صخرية بارزة. والمياه القاتمة الصافية تتهادى برقة على الشاطىء.

وأخذت جين تؤدي عملها وتنتقل من مكان الى آخر. فتجلس وتتحدث وتبتسم وترد على أسئلة هنا وهناك. وبصورة آلية بحثت عن سكوت. ولما لم تجده افترضت أنه في إحدى غرف الجلوس الصغيرة. كانت غرفته في الطابق العلوي فوقها مباشرة. فنظرت الى أعلا ولم تجد ضوءاً. كانت تهنىء نفسها لأنها استطاعت تجنب مقابلة سكوت. ولكنها فوجئت به أمامها يكاد يصطدم بها

عندما كانت تسلك طريقاً ظليلاً لتستمع بالهدوء قبل أن تأوي الى فراشها.

فصاحت:

«أوه... أنا آسفة.»

ولم تكمل عبارتها، ولمست يداه ذراعيها... وأثارت اللمسة الذكريات وأدركت أنه ليس وجهه فقط الذي ظل واضحاً في مخيلتها طوال تلك السنوات الأربع، ولكن ذكرى لمسته أيضاً. وتوردت وجنتاها ولاحت ابتسامة بطيئة على شفتي سكوت وهو يحدق في وجهها لحظة قبل أن يقول:

«أين تذهبين في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟»

وابتعدت عنه جين قليلاً وأجابت:

«كنت أريد التنزه قليلاً.»

«وحدك؟ لماذا لا يصحبك زوجك؟ انكما لاتزالان في شهر العسل، أو يجب أن تكونا كذلك.»

وتحولت العبارات الرقيقة الى موجة من السخرية، وزاد احمرار وجهها... فقالت:

«انه مشغول مع الضيوف.»

وحاولت أن تمضي في طريقها ولكن سكوت اعترضها وسألها ساخراً:

«هل يحب عمله الى هذا الحد؟»

«من واجبه العناية بالضيوف، ان زوجي يضع عمله قبل أي شيء آخر.»

لقد كاد لسانها يزل وتقول انه أخي، ولكنها عندما نظرت الى وجه سكوت القاتم، شعرت بارتياح لأنه لم يتنبه الى ترددها... ترى هل تنبه الى ترددها؟ هل يمكن أن يخمن أنها تخدعه وأنه لا ينوي أن يكشف لها عن معرفته بهذا الخداع؟ وهزت رأسها في ارتباك وأزاحت من ذهنها الفكرة.

وقال سكوت:

«زوجك اذن يضع العمل قبل أي شيء آخر! لقد تحولت الى زوجة متعاطفة جداً

ومتفهمة!»

«أعتبر ملاحظاتك مهينة، انها شؤوني الخاصة ولذلك أطلب منك عدم التعليق عليها.»

«هل هذه هي الطريق التي تتحدثين بها عادة مع الضيوف؟»

«ان الضيوف لايهينونني عادة!»

«قد يكون من الأفضل أن أخبرك من أنا... كنت أنوي أخبار زوجك في أول فرصة، ولكنه بدا مشغولاً جداً وقررت أخباره غداً.»

وسكت سكوت لحظة ولاحت على شفتيه ابتسامة باهتة عندما رأى الشحوب يزحف الى خديها فجأة، وقال:

«يبدو أنك خمنت بالفعل من أنا...»

ولكن جين هزت رأسها بشدة، وكأنها تريد أن تطرد الحقيقة قبل أن تبدو واضحة، فقال بهدوء:

«انني رئيسك ياجين! لقد قررت أنه من الأفضل أخبارك قبل أن تتمادي في عدم احترامي.»

«رئيسي... رئيسنا... هل تملك هذا الفندق؟»

«اننا شركة...»

وقالت متلعثمة:

«لايمكن... لا...لايمكن...»

«انني أعترف أنها مصادفة غريبة لاتصدّق ولكن مثل هذه الأشياء تحدث فعلاً. لم أتصور أن في وسعي قضاء بقية حياتي في تجارة الأحذية ولذلك بحثت عن عمل شيق أكثر.»

ورغم أنه هو الذي قدم هذه المعلومات إلا أن نبرة صوته لم تكن ودية، بالعكس، كان الآن رئيس العمل البارد المتعالي المبتعد.

«لا... أعرف ماذا أقول...»

www.elromancia.com

نطقت تلك الكلمات بصورة آلية، فقد كان ذهنها مشغولاً بتلك الفكرة السابقة، وهي أن سكوت ربما كشف الخداع الذي مارسته هي وأخوها... ولكنها فكرت... بالتأكيد كان سيشير الى ذلك لو أنه خمن فعلاً... ونظرت الى العينين الزرقاوين تبحث عن التعبير الذي يطمئنها تماماً... وقررت، لا... انه لم يخمن، وتنهدت عميقاً وبارتياح، معنى ذلك أن وظيفة ليس في أمان... وذكّرته قائلة:

«قلت انك في أجازة، ولكنك لست في أجازة في الواقع، لقد أتيت الى هنا لتتأكد بنفسك اذا كنا مناسبين لادارة الفندق أم لا.»

«لم آت الى هنا لأتجسس اذا كان هذا هو ماتلمحين اليه!»

«معنى هذا أنك فعلا في أجازة.»

«الى حد ما... جئت الى هنا لأبحث عن مكان أقيم فيه.»

«هل تريد شراء منزل؟»

وأومأ سكوت... وأخبرها أنه يعيش الآن على جزيرة سان فنسان ولكنه قرر أخيراً الاستقرار في باربادوس. وظلت نيراته باردة متباعدة، تعبير وجهه ينم عن عدم الاهتمام... ولم ترغب جين في شيء أكثر من الهرب حتى تستطيع التفكير في هذا الوضع الجديد وتقرر ما الذي يجب أن تفعله، وسألت نفسها فوراً... ما الذي تستطيع فعله؟ كان ليس متلهفاً للحصول على وظيفة في الخارج، ويجب عدم إثارة أية متاعب له مهما كان الثمن... ولعل سكوت نفسه لن يثير لها أية متاعب بعد أن يكون له بيت على الجزيرة. انّ رجلاً في مركزه لايليق به في أية حال أن يظل دائماً لمجرد أن يعرف كيف يدار الفندق. انه سيستأجر شخصاً آخر ليقوم بهذه المهمة بكل تأكيد. كانت تتمنى لو سألته الى متى ينوي البقاء في الفندق، ولكنها عدلت عن الاستفسار، واقتنعت بأنه سوف يرد عليها بطريقة تضعها في مكانها.

بدا عليه نفاد الصبر، وأدركت أنه مستعد لتركها، فحيته تحية المساء،

واستدارت بسرعة وذهبت في طريق وسكوت في آخر.

كانت سوزان هي التي أخبرت جين عن المنزل الذي اشتراه سكوت، فقد اتصلت تليفونياً بعد وصول سكوت الى الفندق ودعت جين لقضاء الأصيل معها في باتشيبا، وعندما لم يعترض ليس ذهبت جين سعيدة بابتعادها عن كورال غيبلز وخطر مقابلة سكوت مرة ثانية، وقالت جين:

«ان السيد كنغزلي يتفاوض لشراء منزل دريفتورد الذي يقع في مكان جميل قريباً من شاطىء الفردوس.»

«شاطىء الفردوس؟ انه يبعد ميلاً فقط عن هنا...»

«وما أهمية ذلك؟»

سألتها سوزان بدهشة، وأشاحت جين بوجهها حتى تتجنب عينيها، لم تكن قد أخبرت سوزان أن سكوت كنغزلي يقيم في كورال غيبلز، فلم تر سبباً لذكر حقيقة علاقتهما السابقة وبالتأكيد لم تكن لتذكر إطلاقاً أنه طلب منها الزواج!

وأجابت جين:

«لاشيء... لكن المرء عادة لايريد أن يكون رئيسه في العمل مقيماً قريباً جداً منه!»

«السيد كنغزلي لايمكن أن يتدخل، انه رجل ساحر، لم نقابله إلاّ مرتين ولكننا نحبه كثيراً... انك لاتحبينه؟»

قالت جين بدون اكتراث، وهي تأمل أن تترك سوزان الموضوع عند هذا الحد:

«انني لا أبالي به!»

«لقد سمعنا أنه قادم الى هنا وكنا نأمل أن يقيم معنا، على أنه اختار فندقاً قريباً من مكان بيته وهذا شيء معقول.»

«ما رأيك في الجزيرة؟»

www.elromancia.com

«رائعة... ولكن يبدو أن كل هذه الجزر رائعة.»

«هذا صحيح... قضيت أنا وديفيد أجازة على جزيرة سانت لوتشيا في العام الماضي وراقت لنا كثيراً، ولكننا نحب باربادوس أكثر بالطبع.»

ونظرت نحو الباب وابتسمت عندما رأت زوجها قادماً. وحيا جين وسألها عن أخيها فقالت انه بخير ويشكره لأنه ساعده في الحصول على الوظيفة. وجلس ديفيد وقال:

«الواقع أنني قدمت اسمه فقط عندما علمت بأن الوظيفة على وشك أن تكون شاغرة... وبعد ذلك قام ليس بنفسه بكل شيء.»

وقالت سوزان:

«السيد كنغزلي يقيم في كورال غيبلز وقد وصل أمس.»

وقال ديفيد:

«لقد قرر شراء منزل هنا... انه منزل فخم، دخلته مرة عندما طلب منا صاحبه عمل الترتيبات لحفل اقامه.»

وسألته جين باهتمام وهي تنظر اليه:

«هل هو منزل قديم أم حديث؟»

«الطريق المؤدي اليه محفوف بأشجار ظليلة، وحدائقه تعتبر أشبه بالحلم، كان مقراً لمليونير أمريكي حوال عشرين عاماً، وصنع فيه روائع في الداخل والخارج.»

ثم قال ديفيد مازحاً:

«والآن ما هو شعورك كزوجة؟»

«لقد تعودت على الوضع.»

وقالت سوزان ضاحكة:

«لا أتوقع أنك أكترثت بالفكرة.»

«انني أكره الخداع، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة لحصول ليس على الوظيفة. أرجو ألاّ تحدث أية ردود فعل بغيضة.»

كانت تفكر في سكوت، وتتساءل عما اذا كانت ستقترب من لحظة الخوف عندما يواجهها هي وليس بأنه يعرف بأنهما كاذبان، في مثل هذه الظروف سينتهي التعيين حتماً وستعود هي وأخوها الى انكلترا. وعندئذ سيكون من الصعب جداً على ليس الحصول على وظيفة أخرى كمدير لفندق، ظالما أن سكوت سيرفض بلا شك اعطاءه أية شهادة.

وقالت سوزان:

«اذا حدث وقابلت رجلاً ووقعت في غرامه سيكون الموقف حرجاً بالتأكيد؟ بالطبع... وقد يحدث هذا كما تعرفين.»

وأومأ ديفيد برأسه موافقاً، وهزت جين رأسها قائلة:

«لا أعتقد أنني سأقابل أي شخص هنا... ان الأشخاص الذين التقينا بهم حتى الآن متزوجون.»

وقال ديفيد:

«ولكنك لم تقابلي الكثيرين... يوجد عزاب كثيرون في نادي اليخوت.»

وقالت جين في تصميم:

«لن تكون لي أية صلة بذلك... لا أعتقد أن هناك مايثير قلقي من هذه الناحية، هناك أشياء أخرى تقلقني.»

«أشياء أخرى! أية أشياء؟»

«سيكون الموقف فظيعاً اذا اكتشف السيد كنغزلي مافعلناه.»

«وكيف يستطيع اكتشاف هذا؟»

«كنت أتمنى ألا يستقر على الجزيرة.»

وتوقفت فجأة فلم تكن تريد التعبير عن أفكارها بصوت مرتفع، ومضت تقول في استسلام:

«ولكنه يستقر هنا وليس علينا إلاّ أن نأمل كل خير.»

ونظر ديفيد الى جين وقال مستفسراً:

www.elromancia.com

«من المؤسف أن كارولين رفضت الزواج من ليس... ماذا حدث بالضبط عندما رشحت ليس للعمل في كورال غيبلز كنت أعتقد أنه هو و كارولين على وشك الزواج، كان ليس يبدو مستقراً معها، اذا حكمت على ذلك من رسائله.»

«كان جاداً، في حين أن كارولين لم تكن كذلك.»

«لا بد وأنها صدمة له...»

«كانت صدمة في الواقع، ولكنه لم يعدل إطلاقاً عن فكرة الوظيفة، لقد اعتقد في أول الأمر أنه يستطيع اقناع كارولين بأن تتزوجه، فمضى قدماً وأجرى المقابلة مع المسؤولين.»

وأنهى ديفيد عبارته وهو يضحك قائلاً:

«وبعد ذلك استطاع اقناعك بأن تكوني... عروسه!»

وظل وجه جين محتفظاً بكآبته، وتساءلت: ترى هل فكر ديفيد في موقفه لو أن سكوت أو أي عضو من شركته اكتشف الحقيقة؟ فهو الذي أوصى بأن يشغل ليس الوظيفة، ولم يكن في استطاعته إطلاقاً نكران معرفة أن جين اخته وليست زوجته... كان الأمل معقوداً على عدم اكتشاف السر وذلك لمصلحة كل من يعنيهم الأمر.

وعند عودتها الى كورال غيبلز دخلت جين في حديث مع السيدة تولسون، وهي أرملة ثرية من جنوب أفريقيا، مالت الى جين عندما وصلت منذ خمسة أيام بنية الاقامة حوال ثلاثة أسابيع... كانت السيدة تولسون امرأة صغيرة الجسم سمراء، لها أسنان أمامية كبيرة وشفتان ممتلئتان قرمزيتان، وتتحلى بجواهر ثمينة في أصابعها وحول عنقها، ثيابها غالية رغم رداءة ذوقها، وعند وصولها كانت ترتدي حلة بخطوط سوداء وقبعة تثير الأسى، على حد تعبير ليس! تسير مثل رجل، رجل ثقيل كما قال ليس وتحمل دائماً حقيبة ضخمة مزينة بالزهور، وغاص قلب جين عندما نادتها السيدة تولسون وهي تدخل الفندق، ولم

يكن أمامها إلا الذهاب اليها والجلوس على المقعد الذي أشارت اليه وهي تقول:

«أجلسي ياطفلتي العزيزة... لقد بدأت أشعر بالوحدة... أين كنت طوال فترة بعد الظهر؟»

«ذهبت الى الطرف الآخر من الجزيرة لزيارة أصدقائي الذين يديرون فندق النخيل في باتشيبا.»

«باتشيبا... أوه... انه جزء جميل من الجزيرة... أعتقد أنني سأقضي أسبوعاً هناك قبل رحيلي. ماذا ستقدمون لنا من تسلية هذه الليلة؟»

«كالمعتاد ياسيدة تولسون... الرقص المحلي والفرقة النحاسية.»

«لقد سمعت موظفة الاستقبال تتحدث عن عرض أزياء.»

«نعم سيكون ذلك مساء الجمعة.»

«ترى هل سأجد ثوباً يناسبني؟ انكم تعرضون دائماً المقاسات السخيفة التي تناسب فتيات في حجم أعواد الثقاب!»

«أعتقد أنه توجد بعض الملابس التي تناسب الحجم الممتلىء.»

«انك لم تأتي الى هنا إلاّ منذ فترة قصيرة كما علمت...»

«وصلت منذ أسبوع فقط في الواقع.»

«هل كنت تعملين في فنادق قبل ذلك؟»

«ان أخي...»

وتوقفت جين عن الكلام، ونظرت بهلع الى وجه رفيقتها بعينيها القلقتين، وشعرت بارتياح كبير عندما رأت أن المرأة لم تلحظ الغلطة، وعادت تقول:

«ان زوجي كان يعمل في فنادق طوال حياته منذ أن تخرج من كلية التدريب.»

«ومتى تخرج؟»

«منذ اثنتي عشرة سنة... انه في الخامسة والثلاثين.»

«لابد أنك أصغر منه بكثير.»

«انه يكبرني بإحدى عشرة سنة.»

«هذا كثير جداً... ان الرجال لايعيشون طويلاً مثل النساء في أية حال. اذا تزوجت رجلاً أكبر منك بكثير، فانك ستتركين وحيدة عندما تكونين في الخمسين من عمرك، وعندئذ لن تجدي زوجاً آخر!»

وضحكت جين وقالت:

«لا أعتقد أنني سأرغب في زوج آخر.»

«ان المرأة ترغب في زوج دائماً. أنا شخصياً أريد زوجاً... وأبحث عنه طوال الوقت!»

وفي هذه المرة كانت جين دبلوماسية، فلم تضحك وقالت متظاهرة بالاهتمام:

«منذ متى ترملت ياسيدة تولسون؟»

«قبل خمس سنوات ونصف، انني لا أحب العيش وحيدة ياسيدة كوتس.»

وسكتت عندما اتجه سكوت نحوهما، وقالت بصوت غير مسموع:

«ها هو ذا رجل كان في وسعي أن أضع عيني عليه لو كنت أصغر بضع سنوات وهو أكبر بضع سنوات، ترى لماذا لم يتزوج حتى الآن؟ ان النساء اللواتي قابلنه لابدّ أنهن كنّ نصف نانيات، أهلا ياسيد كنغزلي... تعال أجلس معنا.»

أجاب برقة وهو يجلس على الكرسي المقابل لها:

«كنت أعتزم هذا.»

ونظر الى جين ولاحظ من الحمرة الناعمة على وجنتيها كأنها شعرت بقلق من شيء. فجأة، ابتسم ابتسامة خافتة، واتكأ الى الخلف ومد ساقيه الطويلتين، وانتقلت العينان الزرقاوان الى رفيقة جين، وبدت في أعماقها لمحة من المرح... وقالت السيدة تولسون.

«ماذا كنت تفعل ياسيد كنغزلي؟ هل كنت تسير وحدك في بريديتاون؟ لقد رأيتك هذا الصباح، انني أشعر دائماً بالحيرة عندما أرى رجلاً لطيفاً وحده، أخبرني، لماذا لم تتزوج؟ لقد كنت أنا والسيدة كوتس في الواقع نعلق على هذه الظاهرة!»

وحملقت جين في دهشة وحرج، وكادت تنفي أنها أبدت أية تعليقات عن سكوت، ولكنه منعها بقوله:

«صحيح؟ انني أشعر بالسعادة لأنني كنت جديراً باهتمامكما.»

مضت السيدة تولسون تقول:

«كنت أقول للسيدة كوتس تواً إن النساء اللواتي قابلنك لابد أنهن كنّ نصف نانيات.»

«لا أظن أنني أفهم.»

«انك تشكل تحدياً لأية فتاة شابة... فتاة غير متزوجة، أقصد أنه خسارة عندما يظل رجل مثلك بدون زواج.»

وطرفت العينان الزرقاوان، وهما تصوبان نظرتهما الى وجه جين.

واعترف برقة قائلاً:

«أظن أنني لست مناسباً للزواج ياسيدة تولسون، وكما قلت للسيدة كوتس بالأمس فقط لماذا يتحمل الرجل مسؤوليات عندما يستطيع الحصول على كل المسرات بدونها؟»

وحرك شيء غريب عواطف جين، وأدركت أنها تكره نبرة سكوت ومضمون كلماته وتساءلت... ترى لماذا تكره حديثه بهذه الطريقة؟

«ستلتقي بالفتاة التي تناسبك في يوم ما أيها الشاب، لقد وقع رجال أمهر منك في فخ الزواج!»

وامتقع وجه سكوت، كان واضحاً جداً أنه لم يكن مسروراً مع السيدة تولسون، على أنه احتفظ بأسلوبه المرح عدة دقائق قبل أن يقول لجين:

«ترى هل أزعجك ياسيدة كوتس؟ هناك مسألة صغيرة أود مناقشتها معك على انفراد.»

«طبعاً... عن اذنك ياسيدة تولسون.»

وخفق قلبها، وعندما نهضت واقفة شعرت بضعف في ساقيها.

وقالت السيدة تولسون:

«عودي بسرعة ياعزيزتي فانني في حاجة الى شخص أتحدث معه.»

وقالت جين انها ستحاول، ولكنها أضافت انها قد تضطر الى مساعدة زوجها.

وما كادا يغيبان عن سمع السيدة تولسون حتى نظرت جين بقلق الى وجه رفيقها وهما يعبران غرفة الجلوس وقالت:

«ما الذي تريد أن تتحدث عنه؟»

ورمقها بنظرة حادة:

«تبدين قلقة بطريقة غير عادية ياجين. هل هناك مايزعجك؟»

«يزعجني؟ لا... لماذا تسأل هذا السؤال؟»

«تعبير وجهك... ونبرة صوتك. الواقع أنني أردت انقاذك فقط من صديقتنا السيدة تولسون.»

«صحيح؟»

وصلا الى المدخل الأمامي للفندق، فتوقف سكوت وهو يحملق في سائق التاكسي المرح الذي أحضر ركابه الى الفندق، ثم وقف ينتظر نزولهم. وانتقلت العينان الزرقاوان الى وجه جين وقال بهدوء:

«لقد بدا عليك الملل وأشفقت عليك.»

«هل تقصد أنك جئت الينا لهذا الغرض المحدد؟»

«تماماً يندر أن يسعى شخص الى امرأة مثل السيدة تولسون لمجرد الاستمتاع بحديثها.»

ولفت اهتمامه هذه المرة ليس، الذي يمشي ببطء كبير نحو المدخل وهو يصحب سيدة عجوزاً جداً تتوكأ على عصا، وقال ملاحظاً:

«زوجك يبدو رجلاً صبوراً جداً، وعطوفاً أيضاً، أعتقد أنه يحتفظ برجولته لك وحدك.»

واحمر وجه جين عندما تبعت اتجاه نظرة سكوت. كان مظهر أخيها لايبدو مسيطراً، قامته أطول قليلاً من المعتاد، جسمه نحيل ومع أن كتفيه كانتا عريضتين، لكنهما لم تعطيا انطباعا بقوة غير ظاهرة أما ملامحه فهادئة أكثر منها صلبة، عيناه البنيتان لاتحملان تعبيراً عنيفاً، وظهرت بسمته الجاهزة عندما شاهد سكوت وجين واقفين هناك. وقال:

«هل ستكونين على مايرام الآن ياسيدة بيكر؟»

«كان لطيفاً منك أن تسير معي ياسيد كوتس، انني أستطيع السير وحدي لكن ثقتي تزيد عندما يكون شخص معي، وعدتني بالسير معي ثانية غداً صباحاً، ولكن اذا كنت مشغولاً فلن ازعجك.»

وابتسمت له ثم للشخصين الآخرين وقالت:

«سوف أذهب الى غرفتي الآن وأرجو أن ترسل اليّ عشائي.»

«بالتأكيد.»

وقالت جين بطريقة تلقائية:

«أليست السيدة العجوز ظريفة.»

ثم أضافت:

«انها رائعة... أمل أن تكون لي شجاعتها عندما أبلغ سنها!»

والتفت سكوت وحدق في جين بنظرة غريبة، كانت عيناها صافيتين براقتين، وفمها يتقوس بابتسامة حانية وهي تراقب السيدة العجوز تتحرك بصعوبة نحو المصعد. وقال ليس:

«انها محدثة طيبة أيضاً، لا تشعر بلحظة ملل وأنت معها!»

وقال سكوت:

«لم أتحدث معها حتى الآن، ولكن يجب ان افعل . انها رائعة كما تقول جين.»

ونظر اليه ليس بسرعة، كانت هذه هي المرة الأولى التي ينادي أخته باسمها الأول، وهناك شيء مألوف في الطريقة التي ينطق بها الاسم وكأن لديه

www.elromancia.com

الحق في ذلك، ومع هذا كان يشير الى ليس دائما بقوله سيد كوتس.

وقال ليس لجين بعد فترة قصيرة، وهما يجلسان في غرفة الجلوس الخاصة بهما في الطابق الأول:

«انه يناديك جين بينما يشير اليّ دائماً بقوله سيد كوتس.»

«هذا لأنه يعرفني من قبل.»

«ولكنه الآن رئيسنا في العمل، والمفروض ان يعاملك بطريقة رسمية.»

والواقع أن جين لم تكن تعتبر سكوت رئيسها، فقالت:

«أعتقد أنه سيجد صعوبة في أن يناديني سيدة كوتس.»

وبدأ ليس يفكر ثم قال:

«عندما اكتشف من أنت، ألم يعلق على أنك لم تغيري اسمك بعد زواجك؟»

«نعم.. وقد ذكرت لك هذا عندما أخبرتك بكل شيء.»

«صحيح؛ آسف ياجين، لابد أنني لم أسمع...»

ومرة أخرى غرق في التفكير ثم أضاف:

«من الواضح أنه نسي أن اسم أخيك كان ليسلي.»

«ومن أجل هذا أشعر بالامتنان، لقد مررت بدقائق تعيسة وأنا أشك أنه ربما فطن الى الخداع. وفي ذلك الوقت لم اعرف أنه رئيسنا.»

«لو أنك كنت تعرفين لكان الأمر أسوأ عشر مرات بالطبع، من حسن حظنا أن ذاكرته ليست جيدة.»

«ربما أنني لم أذكر اسمك إطلاقاً أمامه، الواقع أن صداقتنا لم تكن حميمة جداً بحيث نتبادل الأسرار وندخل في تفاصيل حول أسرتينا. كنت أعرف أن له أباً وأختاً وكان يعرف أن لي أخاً، وكنت أقول أخي وهو يقول أختي بدون ذكر الأسماء نفسها، الواقع لا أعرف اسم أخته.»

«ألم يذكره لك إطلاقاً.»

«لا أعتقد ذلك، واذا فعل فقد نسيته.»

«اذن يبدو ان الشيء نفسه حدث مع سكوت.»

ونظر ليس اليها بفضول وسألها:

«ما الذي جعلك ترفضينه؟»

«لم نكن متوافقين.»

«أعتقد أنه يبدو المثل الأعلى لمعظم الفتيات.»

«هل تقصد لأنه وسيم؟»

«ليس هذا فقط يبدو أنه يتميز بكل شيء، المظهر وقوة الشخصية.»

وفكرت... قوة الشخصية... ثم قالت:

«في ذلك الحين كنت أعتقد أنه ضعيف الى حد ما.»

«ضعيف؟ بأي معنى؟»

«كنت دائماً أملي عليه ارادتي، ويخضع لي بسهولة شديدة.»

وابتسم ليس وقال:

«انك ـ مثل كل النساء ـ تريدين رجلاً له ميول رجل الكهف، هل هذا ما تقصدينه؟»

وضحكت رغماً عنها وقالت:

«لم أكن أريد زوجاً أستطيع لويه حول أصبعي الصغير!»

«من المستحيل أنك كنت ستلوين سكوت حول أصبعك الصغير... من الذي أعطاك هذه الفكرة؟»

«لم تكن فكرة، بل حقيقة، كنت أطلب وكان يستسلم فوراً... ويعطيني انطباعاً بأنه يخشى أن يغضبني.»

ورد ليس وهو لا يصدق:

«هو يستسلم؟ مستحيل!»

«ليس الآن... لقد تغير كثيراً.»

«لا بدّ أنه تغير لأنني متأكد أنه لا تستطيع امرأة أن تجعله يستسلم الآن. يبدو لي

www.elromancia.com

أنه عندما يتزوج سوف يثبت حقه من البداية.»

وأومأت موافقة. وقالت:

«لاحظت التغيير.. وقد أذهلني.»

«هل عرف لماذا رفضته؟»

«نعم... لقد أخبرته عندما سألني لماذا رفضته...»

«اذن يمكن أن يكون لرفضك صلة بهذا التغيير، وهو تغيير كبير على ما أعتقد. لا أعتقد أن سكوت كان ضعيفاً، فالرجل لايتغير بهذه الطريقة. أعتقد أنه كان يحبك جداً بحيث جعلك تحققين كل رغباتك.

وبلعت جين ريقها لتزيل جفافاً غريباً في حلقها، وتذكرت الآن فقط انها لم تنجذب نحو أي رجل طوال تلك السنوات الأربع، هل يمكن أن يعني هذا أن سكوت احتل بدون أن تدري ـ مكاناً هاماً في قلبها وعقلها!

وتكلمت أخيراً وقد بدا في عينيها تعبير ينم عن التفكير والحيرة وقالت:

«لقد تغير في نواح أخرى، انه ساخر متهكم، حاول اقناعي بأنه من السهل عليه الحصول على نساء، وأن الزواج لايروق له، وأعطاني انطباعاً بأنه يحتقر كل النساء وليس فقط اللواتي...»

وماتت كلماتها على شفتيها، ولاحت ابتسامة على وجه أخيها وقال:

«اللواتي تسلّ معهن...»

وغرق ليس في التفكير ثم سألها:

«هل هناك أي احتمال في أن تحبيه الآن بعد أن ظهرت صفاته الأقوى؟»

وهزت رأسها، ولكنها كانت حركة آلية وقالت:

«لا أتوقع رؤيته كثيراً بعد استقراره في بيته.»

«ولكنك لم تجيبي على سؤالي ياجين.»

ونظرت الى أخيها ولاحظت القلق في عينيه. وقالت:

«لاتقلق ياليس. ان سكوت لم يعد يهتم بي، في أية حال انه آخر رجل

يتورط مع امرأة متزوجة وخاصة اذا كانت زوجة لأحد موظفي شركته.»

«أنك على حق، لابدّ أنه أحبك في يوم من الأيام، ولكن أليس غريباً أنه لم يتزوج إطلاقاً؟»

«أعتقد أن رفضي له أثرّ عليه كثيراً، وأحدث فيه هذا التغيير الذي أشرت اليه... التهكم... والسخرية البادية عليه. لقد رفضت عرضه للزواج ولا بد أنه شعر بالمرارة، وقد أدى هذا بطريقة آلية الى موقفه الذي يتخذه الآن نحو الزواج، لن يهتم بي ثانية أبداً... فلا حاجة بك الى القلق ياليس بشأن وضع أضطر فيه الى الاعتراف بخداعنا لسكوت.»

«هل أنت متأكدة؟ من الأفضل اخباره الآن ياجين. فاذا كان لابد أن أفعل فليكن ذلك قبل وضع أية جذور في هذه الجزيرة.»

وردت باقتناع:

«لن تضطر الى إخباره... ان سكوت، كما قلت، لم يعد يهتم بي.»

www.elromancia.com

٣ ـ مشاعر نصف خامدة

في صباح اليوم التالي قابلت جين سكوت عندما لاح الفجر تقريباً، ارادت أن ترى الشروق من فوق التلال، فاستيقظت باكراً، متوقعة الاستمتاع وحدها بروعة الصباح. ولذلك استاءت عندما شاهدت سكوت خارجاً من الفندق، وحياها قائلاً:

«مرحباً.»

«صباح الخير ياسيد كنغزلي.»

«أتوقع أن زوجك أعطاك تعليمات بمخاطبتي باحترام أو لعله أمرك بذلك!»

وتدفق الدم الى وجنتيها مما زاد شعوره بالبهجة الى حد كبير.

وعاد يقول وهو يضحك:

«الأمر يمدك بسعادة غامرة فالمرأة تستمد سعادة من سيطرة الرجل عليها... أم أنها تجد إثارة، أم ماذا؟ اخبريني ياجين... أبدو أحمق عندما يتصل الموضوع بالنساء، لاأستطيع التذكر بالضبط ما قلته، أذكر قولك انني لاأملك شخصية قوية.»

إنه يهزأ بها، ويجد متعة كبيرة في هذا، وزاد احمرار وجهها. كان هذا الرجل لغزاً، شخصاً لم تعرفه من قبل إطلاقاً... ولن تستطيع معرفته... هكذا فكرت... وشعرت بشيء من الملل عندما تذكرت أنه سيغادر الفندق...

«حسناً ياجين... ألن تردي عليّ؟ ما الذي تشعر به المرأة عندما يسيطر عليها الرجل؟ أود أن أعرف.»

وقالت بصوت مختنق:

«لم أطالب بهذا · يا سكوت.»

«عدنا الى سكوت ثانية... انتبهي ياجين وإلاّ قرر سيدك معاقبتك، أعتقد أنه من الأفضل معاملتي كما أمرك بكل احترام!»

ولم تجد ما تقوله... ومرة أخرى برقت عيناه الزرقاوان بسخرية بثت فيها الحياة، وأضاف:

«لاتبدين سعيدة في الوقت الحاضر... هل تخشين أن أفصل زوجك؟»

وعندئذ بدا عليها الذعر وقالت:

«لن تفعل ياسكوت... ياسيد كنغزلي، أرجوك قل انك لن تثأر من زوجي.»

وقال بحدة، وقد بدا الغموض على وجهه القاتم:

«قد أفتقر الى قوة الشخصية وغيرها، ولكن الحقد لا يوجد بين عيوبي... زوجك يبدو شخصاً صالحاً وله ضمير حيّ، وأعتقد أنه سيكون دعامة كبيرة لشركتنا.»

قالت متنهدة بارتياح:

«أشكرك، سوف يسعد زوجي عندما يعرف أنك راض عما تراه هنا.»

وبعد فترة صمت قصيرة سألها سكوت عن السبب في استيقاظها باكراً، وعندما أخبرته أنها أرادت رؤية شروق الشمس رفع حاجبيه وقال:

«الشمس أشرقت.»

«عندما كنا نتحدث، سوف يشهد أصدقائي منظراً رائعاً، سيرون الشمس تشرق من حافة البحر.»

ورد مفكراً:

«أصدقاؤك... السيد والسيدة شور؟ لقد أخبرني سيندر ان ديفيد شور هو الذي رشح زوجك لشغل وظيفة المدير هنا.»

www.elromancia.com

«نعم... هذا صحيح.»

«هل تعرفين أنت وزوجك أسرة شور منذ عهد طويل؟»

وتنبهت... فاذا اكتشف سكوت الحقيقة فان ديفيد سيواجه متاعب بلا شك، وبدأت جين تتحدث الآن بحذر وأجابت:

«كنا أصدقاء في انكلترا. ولكننا لم نر بعضنا لفترة ثلاث سنوات حتى أتينا الى هنا منذ اسبوع.»

وبدا على وجهه تعبير غريب، وبدا مسروراً من أفكاره ولكن عندما تكلم لم تعرف جين شيئاً من هذه الأفكار، وسألها:

«هل تتريضين ياجين أم عائدة الى الفندق؟»

أدهشها تغيير الموضوع فجأة ولكنه أثار ارتياحها، فمن المؤكد أنها سترتبك لو استمر سكوت بالتحدث عن أسرة شور. ولم تنتبه الى أن تغيير الموضوع فجأة قد يكون له أهميته... ولكنها فكرت في ذلك فيما بعد وعرفت السبب. وقالت:

«كنت أعتزم القيام بنزهة سيراً على الأقدام.»

ولم تلبث أن ندمت على ما قالته، وتمنت لو أنها قالت انها عائدة الى الفندق حتى تهرب منه... كانت تخشى صحبته... تخشى أن تقول شيئاً قد يثير شكوكه بالنسبة الى علاقتها بمدير الفندق، وأجاب:

«اذن سنسير سوياً.»

ولم تدهش جين. كانت تعرف أنه سيقترح ذلك، واستطرد قائلاً:

«أجد البحر في هذا الوقت من السنة ساحراً مثل امرأة جميلة.»

الضحك يشوب كلماته. وعبست فجأة، وفكرت... ان هذا الرجل ليس جذاباً مثل سكوت الذي كانت تعرفه... ودهشت من اعترافها بجاذبية سكوت السابقة، ولم تستطع إلاّ تذكر ذلك اليوم الذي عرض عليها فيه الزواج، كان صوته وسلوكه لطيفاً جداً، وأشبه بصبي صغير، ليس واثقاً من نفسه تماماً

ولكنه واثقاً مما يريده كان في السادسة والعشرين من عمره وبدون خبرة عن النساء، وتساءلت ترى كم عدد النساء اللواتي عرفهن منذ ذلك اليوم! وقطع أفكارها عندما قال:

«انك ساكتة ياجين.»

«كنت أفكر.»

«تفكرين في أي شيء؟»

«أشياء من كل نوع!»

«بدون تحديد؟»

ووجدت نفسها في حالة غريبة... حالة لن تستطيع نسيانها بسرعة، نبضها يسرع، وشيء ما يرتجف في صدرها، وتذكرت لمسته... قبلته... كلماته الحانية قبل أن يطلب منها بكل ثقة أن تتزوجه. وسألها:

«أخبريني ياجين... ما الذي يشغل ذهنك؟»

كان رأسه مائلاً، وفجأة شعرت بنفسه البارد يلفح وجهها وكأنه على وشك أن يلمس شفتيها.

كانت أعصابها متوترة، وأفكارها مشوشة... وبحركة سريعة من جسمها ابتعدت عنه، واحمرّت وجنتاها وارتعدت شفتاها، وبدا سكوت مأخوذاً بالصورة التي رآها، وظلّ يحدق صامتاً في وجهها الجميل فترة طويلة، ثم أرخى أهدابه فأخفت تعبير عينيه... وبدأت تسير مرة أخرى وتخلف عنها خطوة، وبعد لحظات كرر السؤال... وترددت، ثم... وبقوة دفعتها رغم إرادتها أخبرته بصراحة أنها كانت تفكر في التغيير الذي طرأ عليه منذ الأيام حين خرجا معاً فردّ عليها قائلاً:

«أشرت الى هذا التغيير قبل ذلك، وقلت لك أنني أمل أن يكون تغييراً الى الأفضل.»

«أصبحت ساخراً...»

www.elromancia.com

«ألا يوجد تغيير آخر؟»

وحملقت جين حائرة... كان لديها انطباع غريب بأنه يريدها أن تقول له الحقيقة، أن تقول له إنه الآن متعجرف متعال وكله ثقة بنفسه، وأنه لايشبه بأية حال الرجل الذي عرفته من قبل. وقالت متلعثمة وهي لاتستطيع التعبير عما كان في ذهنها:

«انك مختلف...»

«ان الاختلاف يعني التغيير عادة.»

قال هذا بسخرية ثقيلة، وراقب الدم يتدفق الى خديها، واستمر يحملق فيها ثم أضاف:

«ما هو هذا الاختلاف ياجين؟»

ثم اضاف في تهكم:

«هذا الاختلاف الذي طرأ عليّ والذي أشرت اليه مرتين... هل لك أن تتوسعي قليلاً؟»

كان يسخر منها... يتلاعب بها... من كان يصدق أن باستطاعته فعل هذا؟ هذه السمكة الهلامية بدون عمود فقري كما وصفته مرة بكل حماقة... وسألته:

«هل يهمك أن أشرح؟»

«يهمني جداً.»

«انك رئيسي...»

«لاتقلقي فلن آخذ بثأري... ألم أقل إن زوجك سيكون دعامة كبيرة لشركتنا؟»

«نعم.»

وتردّدت... وأخيراً قالت:

«انك متعجرف الآن، وصلب... بينما كنت قبل ذلك ليناً و... ولطيفاً.»

وأعقب هذا صمت غريب ثم قال:

«انها التجربة ياعزيزتي... تغيّر شخصياتنا، لامكان في هذا العالم للرجل الذي

يكون لطيفاً و... ليناً على حدّ تعبيرك.»

وبدون شعور تنهدت وقالت:

«كنت رجلاً ألطف في ذلك الوقت.»

وتوقفت بسرعة مستاءة مما قالته... ولكنه كان قد سمع كلماتها ورفع حاجبيه وقال يذكرها:

«انك لم تعتبريني لطيفاً في ذلك الوقت!»

ولاحظ ضيقها، وكان واضحاً أنه يستمد سعادة منه... واستطرد قائلاً:

«لم يكن النوع اللطيف يروق لك... كنت تريدين في زوجك سيطرة تجعلك تحت إمرته... تسلبك ارادتك الخاصة بك، وتحولك الى مجرد ظل... الى انسانة ضعيفة تتبعينه أينما يقودك. كنت تريدين ذلك الطراز من الرجال الذي لايسمح بحذف كلمة الطاعة من عهود الزواج.»

وبدت البهجة على وجهه، وانعكس هذا في العينين الزرقاوين، وسألها:

«ألست على حق؟»

«انك تشوه الأمر كله ياسكوت... ياسيد...»

وقاطعها بهدوء قائلاً:

«سكوت... تكفي.»

«انك تبالغ... كنت فقط أريد رجلاً يتسم بقوة الشخصية.»

«وهل تعتقدين أن الرجل اللطيف تعوزه قوة الشخصية بطريقة آلية؟»

«انك تعقد الأمور.»

«لاشيء من هذا... انني أذكر الحقائق كما شهدتها.»

ولم تجد جين ماتقوله... كانت تريد الهروب، وعبّرت عن ذلك بنظرتها السريعة الى الفندق. ولكنه قال:

«تعالي... دعينا نستمر في نزهتنا.»

كانت حدّة صوته قد خفّت، ووجدت نفسها عاجزة عن منع أفكارها من

www.elromancia.com

الخوض في مناطق محرّمة... وسلكت الطريق الذي يمكن أن تسلكه لو أنها لم تعبر عن رأيها في شخصيته على نحو متهور، والنتيجة أنها رفضت عرضه للزواج، كان يمكن أن يكون لديها أطفال الآن، أطفال يتربون في هذا الجزء الساحر من العالم. ترى هل كانت تحبه؟ ان ماتنطوي عليه حالتها أحدثت أثراً مذهلاً عليها، يجب ألا تفكر في احتمال أنها تهتم به... لا... يجب أن تنسى أن الفكرة خطرت على بالها... وإلا ظلت تفكر فيها حتى يحين اليوم الذي لا بد أن تواجه فيه الحقيقة، وقالت أخيراً:

«يجب أن أعود... لدي بعض الأعمال...»

وأجاب وهو ينظر اليها:

«أعمال؟ ظننت أنك قلت انك لاتعملين كثيراً!»

«انني في العادة أنسق الزهور للموائد، وأحب أن تكون في مكانها وقت الافطار.»

«اذن يجب ألا أمنعك من واجباتك... من المحتمل أن أراك وقت الافطار.»

قال ذلك بوصفه رئيس العمل البارد الذي لا يكترث، وشعرت جين بشيء يتقلص في داخلها.

ووقفت لحظة بعد أن استدارت وسارت بعيداً... وحتى بعد أن بدأت تسير نحو الفندق، وجدت نفسها عاجزة عن مقاومة النظر الى الوراء!

ولكن بعد أن عادت الى كورال غيبلز ظلّت صورة الملامح الصلبة العنيفة عالقة بذهنها، مما جعلها أخيراً تؤنب نفسها وتمنع أي مزيد من التفكير في سكوت كنغزلي، الذي كان رئيسها فقط.. ولا شيء أكثر من هذا.

وبعد ايام ذهبت جين في سيارة سكوت الى المنزل الذي اشتراه في دريفتوود منذ أسبوعين، وطلب منها أن تكون سكرتيرته الخاصة وتعمل في بيته على هذا الأساس... دهشت وقالت إن لديها بعض الأعمال عليها تأديتها في كورال غيبلز ولكنه تجاهل ذلك وكرر الأمر... نعم... كان أمراً... ولم يكن هناك أمامها إلاّ أن تفعل ما طلب منها، فأخذها لرؤية مكان عملها، وهو غرفة قريبة

جداً من غرفة المكتب الجميلة الخاصة بسكوت وحده.

شيء غريب جداً بدا عليه في ذلك اليوم، عندما اتخذ فجأة قراره هذا، وكان بالطبع يعرف طبيعة عملها السابق في انكلترا، ولذلك لم يكن في استطاعتها تحاشي الموضوع بحجة أنها لاتستطيع الكتابة على الآلة الكاتبة أو الاختزال. تحدث سكوت مع ليس حول العمل الذي قدمه لجين، وفيما بعد عندما ناقشت جين وأخوها تحول الأحداث الجديد المفاجيء، نظر اليها ليس نظرة غريبة وقال:

«شيء عجيب حقاً... انه يأخذك مني كل يوم ما عدا عطلة نهاية الأسبوع بالطبع.»

«فعلاً.. هذا شيء عجيب، فهو يعلم أننا تزوجنا منذ عهد قريب، واصراره على ذهابي والعمل لديه يبدو خطأ.»

«تقصدين باعتبارك حبه القديم؟ نعم هناك شيء محيّر جداً حول هذا الموضوع، لا أجد تفسيراً لتصرفه، ومع ذلك يجب أن تذهبي... ان كلمته قانون... وقد انتهى الأمر!»

كلمته قانون! ابتسمت جين، ورغم أن ابتسامتها كانت تشوبها المرارة... فإن سكوت أصبح يأمر الآن، سكوت الذي احتقرته بسبب ليونته! وقطع سكوت أفكارها بصوته البارد الخالي من العواطف عندما قال:

«حسناً... أرجو أن تحبي مكان عملك.»

قالت جين وقد بدت اللهفة في نبرة صوتها، رغماً عنها:

«انه منزل جميل... لابد أنك فخور بامتلاكه.»

ولم يقل شيئاً، وعندما أوقف السيارة كان لديها انطباع بأن مرارة مفاجئة قد انتابته، ولكن الانطباع اختفى في الحال ووجدت وجهه مبتسماً وهو يفتح لها باب السيارة لتنزل منها. كانت الابتسامة غير عادية، ولا تحمل أية سخرية أو أي تهكم. وأخيراً قال وهما يدخلان المنزل من مدخل رائع تصطف على جانبيه أعمدة

www.elromancia.com

من الحجر المرجاني الأبيض:

«أفضل العيش ببساطة أكثر، لا مانع من الحفلات ومآدب العشاء باعتدال، ولكن المتعة التي لا هدف لها، والتي هي في الواقع مجرد هروب من الملل، لا تعتبر ضرورية بالنسبة إليّ... ان لدي عملي ومتعاً أخرى معينة.»

قال هذه العبارة الأخيرة بنبرة رقيقة غريبة جعلتها تحدق فيه، واحمر وجهها قليلاً... وتقوست شفتاه الجميلتان، وأضاءت العينان الزرقاوان بدعابة أثارت الذكريات لجين... ذكريات أيقظت مشاعر كانت من قبل نصف خامدة... وبعد لحظة صمت طويلة قال:

«نعم لدي متع أخرى... أتمتع بها أكثر كثيراً من الحفلات والمآدب.»

وأشاحت جين بوجهها، ياله من رجل ساذج، هل أصبح رجلاً عابثاً الآن... وامتلأت نفسها بالندم لأن التغيير كان شاملاً الى هذا الحد.

«هل هذا هو المكان الذي سأعمل فيه؟»

قالت جين ذلك بعد عدة دقائق عندما فتح سكوت لها باب غرفة متوسطة الحجم، بها مكتب وكل الأجهزة الضرورية لغرفة العمل... وأضافت وهي تدخلها وتسير نحو النافذة:

«انها جميلة، انظر المشهد ياسكوت... لن أستطيع انجاز أي عمل!»

ولم تعد الموظفة عنده... وانما الفتاة المتطلعة التي عرفها من قبل، والتي وقع في حبها بجنون، والتفتت اليه، كان قد تبعها داخل الغرفة ووقف بجانب المكتب وبدا في أعماق عينيه تعبير لاتعرف كنهه. وأشاحت برأسها وهي لاتستطيع مواجهة نظرته... واقترب منها، وشعرت بقربه. شمت رائحة الصابون العطرة على يديه وهو يمدهما ليسأل اذا كان الأثاث والأجهزة تروق لها، وتمتمت بنعم ثم أعقب ذلك لحظة صمت أخرى، صمت عميق متوتر شامل يلف كل شيء. كان إحساس جين أنها دخلت فخاً... لا... انها قيدت داخل فخ، وأنه منذ هذه اللحظة يتعين عليها أن تقاتل لتهرب، وطرقت عيناها وقد أذهلتها هذه الفكرة السخيفة. وألقت

الأهداب الطويلة ظلالاً فوق خديها. وفي اللحظة التي أعقبت ذلك كان رئيس العمل المبتعد المتعالي يقول:

«ان ساعات عملك ستكون من التاسعة حتى الخامسة، أما بخصوص الراتب فسوف نناقش ذلك فيما بعد، انك وزوجك تتقاضيان الآن راتباً مشتركاً، ومن الواضح أن هذا الراتب سوف ينفصل بحيث تتقاضين راتبك ويتقاضى زوجك راتبه.»

وأومأت موافقة وقالت:

«متى تريدني أن أبدأ؟»

«يوم الاثنين، تستطيعين استخدام إحدى السيارات التابعة للفندق، وبعد ذلك ربما تفضلين أن تكون لك سيارتك الخاصة...»

«لقد فكرت في ذلك.»

«سوف تحتاجين الى شيء من النصح اذا كنت ستشترين سيارة مستعملة... سوف أفحصها لك عندما تجدين واحدة.»

وتساءلت... ترى هل تهمه سلامتها؟ ومن الغريب أن الفكرة أسعدتها.

«هل ستعود بي الآن؟»

هكذا سألته عندما غادرا الغرفة، وصحبها الى البهو، ومنه الى الشرفة الأمامية.

«نعم... لايوجد ما نتحدث عنه في الوقت الحاضر، لن أكون هنا عندما تأتين صباح يوم الاثنين، ولكنك ستجدين عدة رسائل فوق مكتبك، اكتبيها على الآلة الكاتبة، وسأعود حوال الساعة الحادية عشرة.»

«هل ستذهب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع؟»

خرج السؤال قبل أن تدرك أنه ليس من حقها سؤاله، وعضت شفتها بينما رفع حاجبيه. وقال بهدوء:

«هذا شأني.»

«أسفة.»

«سوف تقوم بولي بتقديم قهوة الصباح لك، لقد ورثتها من أصحاب المنزل السابقين مع معظم الخدم الآخرين.»

«أشكرك.»

قالت جين هذا شاعرة بالحرج لأن سلوك سكوت أصبح جامداً وسألها:

«هل هناك ماتودين أن تسأليني عنه؟»

قالت وهي تهز رأسها:

«لا أستطيع التفكير في شيء حالياً.»

«في هذه الحالة سأعود بك الى كورال غيبلز.»

وقاد السيارة في دائرة قبل أن يعود الى الطريق، وشهقت جين في داخلها عندما رأت منظر الحدائق. كانت هناك زهور بديعة تفوح منها روائح عطرة، فقالت:

«وهل هذه الغابة ملكك؟»

«غابة؟ انها مجرد أحراش، نعم... انها تخص المنزل، أعتقد أن قروداً كثيرة استقرت فيها.»

«قرود؟ يالروعة... لم أر قرداً في حياتي.»

«لا؟ إنها هنا... سوف تشاهدينها من حين الى جين وهي تعبر الطريق الى الجزء الشرقي من الجزيرة. لقد رأيتها بنفسي.»

«اتمنى ان اراها.»

«عليك اذن التجول في هذه الأحراش وسوف تشاهدينها.»

قالت بعد فترة:

«كانت الجزيرة مغطاة بغابات كثيفة من قبل.»

«هذا صحيح، ولكن اقتلاع الأشجار كان ضرورياً لزراعة قصب السكر، لا بد أنك لاحظت أنه ينمو بوفرة هنا في باربادوس.»

«نعم لاحظت، ولا عجب أنها تسمى جزيرة السكر.»

«هذا اسم واحد لها، يوجد اسم آخر، اسم أكثر شاعرية. ألم تسمعي به؟»

«لا لم أسمع به.»

«جزيرة زهرة القمر القرمزية، انه اسم جميل، ألا تعتقدين ذلك؟ »

ترى هل كانت هناك لمحة من السخرية في نبرة صوته؟ شعرت أن سخريته مازالت موجودة الى حد كبير.

«جميل حقاً، وكما تقول، شاعري.»

قالت ذلك لمجرد أن تلحظ رد فعله، ولكنه كان يركز على القيادة ولم يدل بأي تعليق، وظل صامتاً رغم أنه كان يفكر بقية الرحلة القصيرة، وتساءلت فيم يفكر؟ وأين يعتزم قضاء عطلة نهاية الأسبوع القادمة؟

www.elromancia.com

٤ ـ جرثومة الشك

مرّ شهر منذ جاءت جين لتعمل سكرتيرة لسكوت. وكانت أصعب فترة عرفتها في حياتها. فقد أثبت سكوت أنه أقصى وأعنف رئيس عمل يبحث عن أخطاء، وكفاءته مثل لسانه في بعض الأحيان، أشبه بسوط يلسع بطريقة لاتحتمل. وفي مرة قالت لأخيها ليس:

«لا أستطيع الاستمرار.»

ولكنها ندمت على كلماتها في الحال مما أثار قلقه فسألها:

«هل من الصعب جداً العمل معه؟»

«العمل عنده! ان سكوت لايسمح لي لحظة واحدة أن أنسى أنه رئيسي.»

«لا أعرف لماذا يتصرّف على هذا النحو. ديفيد وسوزان يحبانه جداً كما تعرفين، وهو يبدي لي أيضاً الحنان بعينه.»

ونظر اليها بفضول ثم قال أخيراً وهو يومىء برأسه متفهماً:

«لا بد أن السبب أنت! انه يتعمد أن يكون عنيداً عنيفاً.»

«ومع ذلك يبدو هذا الاحتمال بعيداً لأن مثل هذا السلوك الدني، الصغير يتناقض تماماً مع شخصيته الراقية.»

«اذا أردت التخلي عن كل شيء فلا تفكري فيّ ياجين. أرجوك. اتركي العمل اذا شئت وسوف نعود الى انكلترا.»

«انك تحب العمل هنا وسوف تبقى.»

وكان واضحاً أن ليس شعر بالارتياح، و جين تعرف أنها لاتستطيع التصرف بطريقة تؤدي الى فقدان وظيفته، يجب أن تتحمل كل تصرفات سكوت أملة أن يلين مع الوقت، وهي بالتأكيد تحاول انجاز الأعمال بطريقة صحيحة، ومع ذلك بدا أنه مصمم على ايجاد خطأ، حتى أصبح لديها انطباع بأنه يريد جعلها تشعر دائماً بتسلّطه، وبأنه رئيسها في العمل، وأوامره يجب تنفيذها بالحرف الواحد، ومع ذلك كانت في بعض الأحيان تتصور أنها تلمح صورة للرجل الذي عرفته من قبل. الرجل اللطيف الحنون... الذي لم تعتبره في ذلك الوقت جذاباً كي تتزوجه. والآن يالها من مخلوقة متقلبة، هذه المرأة، تتمنى فعل أي شيء حتى تسمع الكلمات الحانية وترى ذلك الضوء الناعم يدخل العينين الزرقاوين العميقتين... ماذا كانت تعني هذه التمنيات؟ وأزاحت جين الأمل المستمر الذي لم يكن أكثر من مجرد ومضة لكنها في أعماق ذهنها كانت خائفة على نحو فظيع، وكانت غالباً ما تتذكر إحساسها بأنها وقعت في فخ.

«جين!»

انطلقت الكلمة... وهبّت واقفة... كانت تجلس أمام آلتها الكاتبة مستغرقة تماماً في أفكارها، ولم تسمع حتى صوت سكوت وهو يدخل غرفتها.

«توقعت ذلك التقرير منذ مدة طويلة... ماذا كنت تفعلين؟»

«آسفة... كدت أنتهي منه.»

ونظر اليها بحسم، ولحظ الدم يتدفق الى وجهها... وقال وهو يخرج من الغرفة ويغلق الباب وراءه:

«أحضريه لي فوراً عندما تنتهين منه...»

وبعد حوال عشرين دقيقة، اعتذرت جين ثانية وهي تقدم له التقرير:

«آسفة لأنني استغرقت وقتاً طويلا. أرجو أن تجده صحيحاً...»

وأخذه سكوت منها وعيناه مركزتان على وجهها وقال:

«أنا أيضاً أرجو ذلك، لأنه اذا لم يكن صحيحاً لن يلحق بالبريد...»

وبدت نبرة تهديد في كلماته وفي تعبيره الحاد... وتلت جين صلاة صغيرة قدّرها أن تستجاب، فقد كان التقرير صحيحاً حتى أن سكوت لم يجد فيه أقل هفوة!

وعندما أعاد سكوت قراءته وطلب منها اعداده لترسله في البريد سألته:

«ماذا سأعمل بعد ذلك؟»

«يمكنك الانصراف كما تستطيعين أخذ أجازة غداً لأنني سأرحل ولن أعود قبل يوم الاثنين.»

«شكراً.»

وغادرت غرفة مكتبه وهي تحس بشعور غريب من الكآبة... وفكرت بأيام العطل وأن لسكوت صديقة في سان فنسان حيث كان يقيم من قبل، وحيث يقضي عطلات نهاية الأسبوع هذه ... لقد ذكر سان فنسان في مكالمة تليفونية في أحد الأيام عندما تصادف أن كان يتحدث مع شخص، ورغم أن جين قد طرقت الباب ودخلت غرفته وغادرتها ثانية في الحال، فلقد سمعت ما يكفي لاثبات الحقيقة بأنه كان يذهب الى سان فنسان لقضاء عطلات نهاية الأسبوع كأجازة من أمور العمل... لماذا تفترض أن له صديقة؟ لم تكن متأكدة ولكنه هو الذي أبدى تلك الملاحظات حول المتع الأخرى! وافترضت أن هذا يكفي لغرس أول جرثومة من الشك في ذهنها.

هل كانت تحبه؟ هكذا سألت نفسها مرة أخرى كما فعلت في ذلك الصباح عندما سارا سوياً على الشاطىء الخاص بفندق الكورال غيبلز وكما حدث في تلك المناسبة، تجنبت الرد متذكرة ان سكوت لايمكنه مبادلتها حبها حتى اذا علم أنها ليست متزوجة! ومع ذلك كان ذلك الوميض من الأمل في عقلها الباطن يزداد كل يوم ويضيء أكثر وأكثر... واستحوذ عليها على مر الوقت... وعندما انقضى أول شهرين وهي تعمل سكرتيرة لسكوت، لم تعد قادرة على أخفاء

رغبتها في تجنبه، أيقنت أنها تحب سكوت بدون أي شك. أما شعور اليأس الذي سيطر عليها فقد زاد مرارة بسبب معرفتها أنه كان يمكن أن يكون زوجها... لو أنها وافقت منذ أربع سنوات.

ولكن ليس الآن... انه لايهتم بها إطلاقاً كامرأة، فعدم اهتمامه يطعنها مثل سن السيف الحاد... وكانت النتيجة أنها أصبحت متحفظة في سلوكها معه، فتدهورت علاقتهما بالتدريج لدرجة أنها أصبحت متأكدة بأنه سوف يستغني عن خدماتها كسكرتيرة قريباً، ويدعها تستأنف أعمالها في الفندق ولكنه استمر ومرة أخرى تأكدت أنه يريدها أن تشعر بوضعها كموظفة عنده.

وفي الليلة التي سبقت حفل الشواء الذي أعده ليس، جاء سكوت الى فندق كورال غيبلز وتناول العشاء هناك مع فتاة طويلة سمراء بدت في عيني جين الناقدتين متكلفة ومغرورة. وعندما قدمها سكوت قائلا انها ألما بوتسول، بدا واضحاً أنه مهتم برد فعل جين.

وتغلبت على المهمة الصعبة بكبرياء ولكن ألمها كان عميقاً. كانت غيورة، بطريقة بدائية، وكرهت الفتاة منذ اللحظة التي رأتها فيها.

«هل تجدين لنا ركناً منعزلاً ياجين؟»

ان الأمر الذي نطقه بنبرة جامدة أثار نظرة قاتمة، عندئذ لاحت بسمة خفيفة على فم سكوت. يبدو سعيداً راضياً عن نفسه بخصوص شيء ما... وقالت له ببرود:

«هذا أفضل مكان نستطيع تقديمه. لو أنك اتصلت تليفونياً لحجز مائدة، لوجدنا لك مكاناً هناك... بين النخيل..

«هذا مكان جيد. شكراً.»

ثم شد كرسياً لتجلس عليه ألما التي أخذت تحدق باهتمام في وجه جين. ولمدة ثانية واحدة التقت عينا جين بعيني الفتاة المتعجرفتين ثم قالت لسكوت:

«سأطلب لك قائمة الطعام ياسكوت، وقائمة الشراب.»

وبينما غادرت المائدة سمعت ألما تقول:

«سكوت! أظن أنك قلت انها موظفة عندك!»

وسأل ليس فور جلوسه مع جين حول مائدتها:

«هل حدث شيء؟ تبدين غاضبة.»

«انك تتخيّل...»

«لا أعرف. لاتبدين طبيعية.»

ثم قال بعد لحظة:

«لقد حصل سكوت على لحظات سعيدة لاشك. ترى هل هي صديقة دائمة له؟»

وردت جين بسرعة:

«بالطبع لا.»

واتسعت عينا أخيها وقال:

«هكذا!»

واحمر وجهها وقالت:

«هكذا... ماذا؟»

«معنى هذا أنك لاتهتمين بأنه صحب فتاة.»

«انني لا أعير صحبته ذرة من الاهتمام. ان سكوت كتغزلي لايعني شيئاً لي.»

«أرجو أن تكوني متأكدة ياجين.»

«طبعاً أنا متأكدة!»

ولم يلبث أن انضم اليهما الكابتن والسيدة ريفز. وعندئذ أصبح الحديث خفيفاً مسلياً.

ورقص الكابتن مع جين. كان طويلاً يميزه شعر أبيض كثيف وشارب كبير. وعندما التقت عينا جين بنظرة سكوت وهو يرقص مع رفيقته الفاتنة، لحظت هذا التعبير الساخر في عينيه، وأشاحت بوجهها في الحال. وتساءلت ماذا

يحاول أن يفعل بها؟ وانتابها شك في أنه سينتقم لما فعلته له منذ فترة طويلة، ثم قررت أن مثل هذا العمل أحقر من ان يتخذه رجل مثل سكوت... ومع ذلك كان يبدو بالتأكيد أن شيئاً ما في ذهنه، وكلما زاد تفكير جين في هذا الاحتمال كلما زاد اقتناعها.

وكما كانت تتوقع، حانت اللحظة عندما طلب منها أن ترقص معه. ونهضت بجمود وواجهته بابتسامة صغيرة باردة، وعندما ابتعدا عن المائدة قال لها:

«لا تبدين سعيدة هذا المساء ياجين، هل حدث شيء؟»

«انني على مايرام. أشكرك.»

«من الواضح أنك غاضبة!»

ومضت العينان الزرقاوان بتسلية تثير الغيظ وشعرت جين لو كان في استطاعتها قول شيء تمسح به هذا التعبير عن وجهه، ولكن من سوء الحظ أنه لم يخطر على بالها شيء مناسب. وقالت:

«ما كان يجب أن تترك صديقتك.»

«لم أفعل. كنت أظن أنك تلاحظين أكثر. لقد التقت ألما بصديق قديم لها، وهو يرقص معها الآن.»

وعمد سكوت الاقتراب بجين الى حيث كانت الفتاة ترقص مع رفيقها، ثم أضاف:

«وهكذا ستعرفين أنني مهما افتقدت من صفات، فان أخلاقي لاينقصها شيء.»

«ان التهكم هو أحط صيغة من الدعابة.»

«والعبارات البالية هي أساليب الشخص البليد!»

واحمر وجه جين...

«يجب ألا تحاولي الدخول معي في جدال، فليست لديك خبرة كافية في هذا الفن.»

هكذا أضاف عندما ظلت صامتة وهو يحاول التغلب على شعورها بالضيق:

«يالك من متعجرف، وواثق جداً من نفسك!»

www.elromancia.com

تمتم بهدوء:

«جين... حاولي التذكر أنني رئيسك في العمل.»

«مخدومي!»

وضحك سكوت:

«مزاجك سيء جداً هذه الليلة. سوف أعالجك فيما بعد.»

«أنت!»

هكذا قالت عندما سمعت تحذيره الرقيق، ورمقته بنظرة دهشة وهي تميل بعيداً، وأعادها سكوت حتى يمنعها من الاصطدام بشخص. داست على قدمه، وشعرت بالحرج محاولة أن تبتعد ولكنه أبقاها حيث كانت. وقال وهو قريب من أذنها:

«حسناً ياجين. كنت على وشك أن تبدي تعليقاً.»

وبلعت ريقها، ولشدة ضيقها داست على قدمه مرة أخرى! وقالت بحدة:

«دعني أرجوك. ما الذي تفعله؟»

«أرقص معك. ولكن يبدو أنك فقدت مهارتك فجأة.»

وبدت نبرة التهكم الساخرة في صوته و الوميض الكريه في عينيه. واشتد غضب جين. لم تكن واثقة من أنها تستطيع الكلام خشية أن ترفع صوتها، ولذلك تبعته أينما قادها وآثرت أن تلزم الصمت. وبعد فترة جاء السؤال المثير:

«هل فقدت لسانك أيضاً؟»

عندئذ جذبت نفسها من ذلك العناق وقالت!

«أخبرني. هل تستمتع بكل هذه التعليقات المثيرة التي تبديها؟»

«هل تسعدين اذا قلت لك أنني استمتع بكل لحظة أقضيها معك؟»

وقفز قلبها ثم غاص ثانية. كان الرجل يلعب بها، هذا ما يجب أن تتذكره دائماً. وقالت:

«أنا لا أصدقك.»

«وأنا تعيس.»

واستقرت عيناه الزرقاوان على وجهها وبدت فيهما سخرية قليلة.

«يبدو أنك تنسى أنني متزوجة.»

ظنت أن هذا سيضع نهاية لكل شيء، ولكنها كانت مخطئة وقال بعد أن تغير صوته على نحو غريب:

«متزوجة؟ أوه... نعم. أنني أعترف بذلك الآن. نسيت!»

ثم نظر اليها ملياً وأضاف:

«لاتبدين على الاطلاق امرأة متزوجة!»

وتلقى نظرة تنم عن الدهشة، وأصبحت العينان الضيقتان مجرد شرخين! وقال:

«أذكر أختي عندما تزوجت، كانت تنظر الى زوجها نظرة عاشقة وهو يدس ذراعه في ذراعها بحركة تنم عن الاخلاص والحب. وتناديه: حبيبي بصرف النظر عمّن يكون معهما.»

وتابع يقول:

«لقد تغيرت الأحوال على ما أعتقد. ولم يعد الناس يكشفون عن مشاعرهم الآن، ومع ذلك لابد أنك تحبين زوجك. أنا واثق من هذا»

ثم قال:

«نعم تحبينه جداً. كما أن زوجك يحبك أيضاً، رغم أنه كذلك لايظهر مشاعره.»

فقالت جين:

«لا يخطر لنا أن نتبادل القبلات والعناق أمام الناس.»

ودوت ضحكة سكوت مجلجلة، وقال موافقاً:

«انك على حق تماماً.»

ثم قادها الى مائدتها عندما توقفت الموسيقى، وقال وهو يرفع حاجبيه:

«أشكرك ياجين. سوف أراك فيما بعد، هل تتذكرين؟ لقد وعدت أن أفعل شيئاً يعيد اليك مرحك.»

قال العبارة الأخيرة هامساً ثم انصرف ليلحق برفيقته الجميلة!

ترى ما الذي كان يقصده؟

ووفى بوعده وجاء اليها بعد العشاء بفترة طويلة، عندما كان الضيوف في الشرفة يستمعون الى المطربين والفرقة النحاسية. كانت الاضاءة الخافتة والهواء المعطر يزيد من بهاء المشهد الاستوائي. والليل الهادىء المضاء بالنجوم شيئاً ساحراً لا يوجد إلاّ في جزر البحر الكاريبي. وجلست جين مع أخيها فقط اذ كان الكابتن وزوجته قد ذهبا للسير قليلاً على الشاطىء.

وقال ليس:

«ها هو سكوت قادم.»

وقال سكوت بأدب:

«سيد كوتس. هل يزعجك أن آخذ زوجتك عدة دقائق؟»

«بالطبع لا!»

ولم يلبث أن اضاف:

«أين ستأخذها؟»

«لنسير قليلاً فقط»

«رائع، اذا وافقت... زوجتي.»

وتوقف ليس. نظرت جين الى سكوت، وكان وجهه أشبه بقناع لايمكن قراءته.

وسحبت جين نفساً عميقاً. الواقع أن ليس سوف يكشف عن الوضع كله في يوم من الأيام. لقد وافق سعيداً على أن يأخذها منه رجل آخر. وماذا عن سكوت؟ كان سلوكه محيراً جداً. وفكرت جين. لو أنه أظهر شيئاً من اللياقة على الأقل. لم يبد عليه أنه يرى أي عيب عندما يسأل زوجها اذا كان باستطاعته التنزه معها قليلا.

وسألها سكوت:

«هل توافقين؟»

ولم يكن لديها بديل آخر، فقالت نعم ونهضت من مقعدها.

«ماذا حدث لألما؟»

سألته عندما غادرا المائدة، وأمسك سكوت مرفقها بطريقة مسيطرة:

«واحسرتاه لقد هجرتني وذهبت الى آخر.»

وتوقفت جين واستدارت قائلة وهي تنظر اليه في شك:

«يوجد شيء لا أفهمه. اذا كانت ألما صديقتك، لماذا لاتجلس معها؟ ألا يهمك أنها مع صديقها القديم؟»

«يهمني؟ لا، لماذا أهتم؟ انه مجتمع متسامح هل تذكرين؟ اننا نتنقل من واحد الى آخر.»

وابتلعت ريقها بصعوبة وهي تشعر بالألم والندم والذنب لأنها هي نفسها أحدثت فيه هذا التغيير.

«الى أين نذهب؟»

وأجاب وهو يغيظها:

«الى الحصون النائية في المنطقة. الى ظلام وسرية الحديقة الاستوائية حيث سنجد بقعة هادئة و... نتكلم.»

وتوقفت ثانية، ولكن سكوت قبض على ذراعها بشدة واتجه بها نحو الظلام بعيداً عن الأضواء والموسيقى والضحك وثرثرة الضيوف في كورال غيبلز.

«لا أريد أن... أتكلم.»

«اذن لن نتكلم. سنتبادل الغرام الغرام بدلاً من هذا!»

وشد من قبضته حتى كادت تصرخ. ان هذا الرجل ليس سكوت الذي عرفته. لايمكن أن يتغير شخص الى هذا الحد. وقبل أن تستوعب قصده كانت بين ذراعيه، وعبثاً حاولت أن تفلت منه وتدفقت الدموع الى عينيها وهي تتذكر الرقة السابقة في عناق سكوت. كم كان حنوناً! ولكنه الآن السيد المسيطر الذي

www.elromancia.com

يتحكم تماماً في الوضع ويصمم أن يشعرها بقوته.

«دعني أذهب. أقول لك دعني أذهب. انك تنسى ثانية أنني متزوجة.»

وأطلق ضحكة قصيرة، وأخذ ذقنها في يده وأرغمها على النظر الى أعلا:

«متزوجة؟»

«بالطبع!»

«كاذبة! ولأنك لاتحبين لايوجد سبب يجعلنا لاتمتع أنفسنا.»

«لا بد أنك مجنون. ان تلك الفتاة ألما، لا بد أن تكون من ذلك النوع، ولكني لست كذلك.»

واتقدت عيناها وخبطت قدمها بشدة على الأرض وقالت:

«اذا لم تتركني أذهب، سأصرخ.»

«لن تصرخي. عانقيني مرة أخرى.»

«مرة أخرى؟ انني لم أعانقك إطلاقاً حتى الآن.»

«آه ولكنك فعلت مرات كثيرة. هل مضى وقت طويل على السنوات الأربع الماضية حتى ضعفت ذاكرتك؟»

«دعني أذهب. عد بي ياسكوت. أرجوك.»

قالت ذلك وهي تشعر بجسمها مسحوقاً من شدة قبضته.

«هل تريدين حقاً العودة؟»

«بكل تأكيد. اريد العودة.»

ومرة أخرى ضمها إليه بقسوة وسألها هامساً:

«هل أنت متأكدة؟»

وفي هذه المرة وجدت أنها لاتستطيع الرد. وشعرت أن كل قوتها تتخاذل تحت سيطرته. هذا ما أرادته؟ هل هذه هي السيطرة التي كانت تطلبها في الرجل الذي تقبله زوجاً؟ لا وعيناً بددت ما بقي من قوتها. وقال وكأنه يقرأ أفكارها:

«من الأفضل أن تستسلمي. انني السيد ياجين، وسوف تخضعين لارادتي.»

شعرت جين بالهزيمة. أراد أن يثبت لها أنه قوي يستطيع قهرها. وأخيراً قالت بعد أن منحها فرصة للكلام:

«لقد تغيرت كثيراً ياسكوت.»

مرة أخرى لم تبد عليه ذرة من الشعور بالذنب أو في عينيه ومضة من الاعتذار أو الندم وهو ينظر اليها في الضوء الخافت.

«بالطبع تغيرت وأرجو أن يكون للأفضل. ألم تستمتعي بسيطرتي عليك؟»

كان اشمئزازها أقوى من أن يدعها تتكلم، فلاذت جين بالصمت. وبعد فترة قصيرة رأت وجهه يلين ببطء. وابتسامة باهتة تلمس حد فمه الصلب. وذكّرها بهدوء أنها لم ترد على سؤاله، فقالت:

«لا. لم أستمتع بسيطرتك عليّ...»

«جين. أيتها الكاذبة الصغيرة.»

هكذا أجابها بنعومة، ولمس جبهتها بأصابع حانية، ثم قال:

«كنت خائفة. أعرف، ولكنك استمتعت بها في قرارة نفسك.»

وعندما قاطعته قائلة: لا، اجاب:

«لا تكذبي ثانية. انك في العادة لاتكذبين.»

وتساءلت: ترى ما الذي يظنه سكوت بشأنها؟ هل استنتج أنها هي أيضاً كانت واحدة من اللواتي يتنقلن من شخص الى آخر؟ وألمتها الفكرة كثيراً وذكرتها بأن لها زوجاً فأضافت:

«انك... اننا... يجب ألا...»

ثم سكتت حائرة أمام تعبير وجهه.

«هل تشعرين بالذنب؟»

ان النبرة الرقيقة حلت محلها نبرة ساخرة وشعرت جين بكل جسمها يتهاوى. ما الذي يفعله بها هذا الرجل؟ قال:

«ياعزيزتي جين. ألا تعتقدين أنه فات الأوان للندم وتأنيب النفس؟ واننا سنشعر

www.elromancia.com

بالمرح مع بعضنا. وزوجك سوف يجد متعة مع امرأة أخرى.»

وحدقت به. وكان فمها يرتجف، وعرفت تماماً أن سكوت ندم على لحظة الرقة. وكانت الرقة جزءا من نفسه القديمة التي أراد ازاحتها بعيداً والى الأبد. وغامت عيناها بالدموع، ولم تدرك إلا الآن فقط مدى مافقدته.

وقالت متوسلة بنبرة يائسة:

«هل تعود بي الآن؟ أرجوك ياسكوت.»

«قلت أنني سأجبرك على أن تخضعي لارادتي.»

قال ذلك برنة غريبة في صوته، ونظرة عجيبة أيضاً في عينيه!

«أرجو ألا تكون قصدت هذا!»

«ألن نجد متعة مع بعضنا؟»

«من السخف حتى اقتراح شيء مثل هذا.»

«لأنك متزوجة؟»

«ليس هذا فقط.. لست من نوع الفتيات الذي تظنه.»

ومرت لحظة صمت قصيرة ثم قال ساخراً:

«انك فتاة من الطراز القديم. هل هذا ماتريدين قوله لي؟»

ورفعت عينيها الدامعتين الى عينيه وقالت:

«لعلك لاتصدقني لأنك تسخر من النساء وتحتقرهن، ولكنني فتاة من الطراز القديم كما يحلو لك تسميته.»

وأطلق ضحكة ساخرة وقال:

«لم يبق في العالم فتيات من الطراز القديم ياجين.»

«هل تجد متعة في هذا؟ في أن تكون بلا مثل عليا؟»

وتألقت العينان الزرقاوان وقال:

«قلت مرة أن التجربة تولّد السخرية، وهي أيضاً تنتزع الرجل من مثله العليا.»

«يبدو لي أنك التقيت بالنماذج السيئة من النساء.»

«انهن نموذج واحد أساساً.»

«هذا هراء.»

«فليكن. يوجد نموذج واحد أو نموذجان، ولكنهن جميعاً فروع من شجرة واحدة. هناك المرأة التي تريد وقتاً طيباً وتهدف الى الثراء السريع وهناك المرأة التي تريد اضافة الشرعية على انحلالها فتلقي بشباكها واسعة لتجد زوجاً ثرياً.

وصاحت:

«كفى! انني أكرهك عندما تتحدث بهذه الطريقة!»

«تكرهينني! هل لديك عواطف قوية تكفي للكره؟»

واستمر يقول بنعومة:

«تذكري ياعزيزتي أنك متزوجة وأية عواطف قوية، يجب الاحتفاظ بها لزوجك.»

«ومع ذلك اقترحت منذ لحظات قليلة أن نمرح مع بعضنا.»

كان من الصعب عليها قول هذا ولكنها ما أن بدأت حتى لم تعد تستطيع قطع كلماتها، وأجاب:

«هل نحتاج الى عواطف قوية لذلك؟»

ومرة أخرى صاحت غاضبة وقد ضمت قبضتيها:

«كفى! لن أستمع. عد بي فوراً!»

«يبدو أنك في مزاج سيء ولذلك سنعود.»

ولكنه جذبها اليه وانحنى ليضمها، وفي هذه المرة كانت هناك لمسة من الرقة تختلط بسيطرته، لمسة من الاقناع قاومتها ولكن بصعوبة. وتمتم وهو يمر بأصابعه على وجهها:

«مرة أخرى اذن. انني واثق أن مزاجك سيتغير.»

«لن يتغير إطلاقاً. انك تنسى دائماً أنني متزوجة.»

ومرة أخرى أطلق الضحكة الجافة وقال:

«كلانا ننسى أنك متزوجة.»

www.elromancia.com

وأفزعتها نبرة صوته:

«سكوت!»

هكذا بدأت وهي ترتجف، ولكنها لم تزد على ذلك لأنه قاطعها وأخذ يتكلم ببطء ولمحة من التسلية في صوته:

«نعم ياجين. وأنا أعرف. لست بدون ذكاء. ان ليس...»

وارتفع الحاجبان المستقيمان وأضاءت العينان الزرقاوان واستطرد:

«هل أستمر؟ ان وجهك يحمر خجلاً وهي ليست حمرة جميلة، انها حمرة العار. لا أريد أن أزيد من حرجك.»

«منذ متى عرفت؟»

«منذ البداية طبعاً. لقد زل لسانك عدة مرات. ترددت مثلاً قبل أن تقولي زوجي، ولكن الغرفة بالطبع هي التي جعلتني أفكر حتى قبل أن ألتقي بك لأول مرة في ذلك اليوم.»

«الغرفة!»

«لقد التقطت الكتيب من المكتب فور وصولي. كانت موظفة الاستقبال غير موجودة ولم يكن هناك أحد. ولاحظت أن تلك الغرفة رقم ١٧ المجاورة لغرفة المدير وزوجته لم يشغلها ضيف طوال الأسبوع الماضي. والمفروض أن يكون الفندق كاملاً وقد أعطيت الغرفة الوحيدة الموجودة. وعندما كنت خارجاً من الفندق بعد فترة وجيزة، سمعت موظفة الاستقبال تعتذر لرجل عن عدم وجود غرفة، ومع ذلك كانت الغرفة رقم ١٧ غير مشغولة. أو هكذا بدت من السجل. ودهشت وقبل أن أجد وقتاً لمقابلة المدير، التقيت بك!»

ومد سكوت يديه واستطرد قائلاً:

«وفهمت كل شيء. لست ماهرة جداً ياجين. كان لابد أن يكتشف شخص ما في وقت ما أن الغرفة رقم ١٧ لم تخصص إطلاقاً لأي ضيف. ان سيندر يأتي الى هنا من حين الى حين، وكان سيلحظ هذا الوضع الغريب.»

وشحب وجه جين بينما كان يتكلم ووضعت يداً مرتجفة على كم سكوت بدون أن تشعر.

«أرجوك... لا تفصل... شقيقي.»

«لن أفصله اذا عاملتني بالاحترام اللائق بي، واذا فعلت ما يطلب منك. كما قلت، يجب أن نمرح مع بعضنا البعض.»

وعاد اللون الطبيعي الى خديها وصاحت:

«انك حقير!»

وهز أصبعه الأسمر الطويل، قريباً من وجهها وقال:

«الاحترام الذي ذكرته، تذكريه وإلا...»

www.elromancia.com

٥ ـ اعتراف خلف الشجرة

ظلت جين مستيقظة عدة ساعات بعد أن آوت الى فراشها. وظل التغيير الذي لايصدق في شخصية سكوت يشغل تفكيرها مدة طويلة. وبعد ذلك فكرت في ألما وكيف قبل سكوت بسهولة أن يكون لها صديق آخر الى جانبه! وراجعت بالتفصيل مشهد الجدل الساخن، واحمر وجهها خجلاً في الظلام، عندما تذكرت الأشياء التي قالها سكوت لها. وأخيراً فكرت في قوله مؤكداً أنهما سيجدان متعة في صحبة بعضهما البعض! وكرر هذا قبل أن يتركها، ورغم أنها انقلبت عليه غاضبة إلاّ أنه ضحك فقط وتنبأ بأنها ستغير رأيها في النهاية، كانت كلماته الأخيرة:

«ولا تقولي لأخيك أنني أعرف شيئاً عن الخداع، ليس من مصلحته أن يعرف هذا... هل فهمت؟»

«ولكن...»

«هل فهمت؟»

فأومأت برأسها وتركته، واعترفت بعد قليل أنه من الأفضل لأخيها أن يظل على جهله، على الأقل في الوقت الحاضر. كانت جين تعرفه جيداً، فرغم أنه تجرأ ودخل في عملية الخداع هذه، إلاّ أنها كانت تعرف تماماً أنّ كشف خداعه سيؤثر عليه بطريقة تجعله يتخلى عن وظيفته بلا شك... و سكوت ذكر من قبل أن

ليس سيكون دعامة كبيرة للشركة، وهكذا يبدو أن هذا هو السبب في أنه رفض السماح لجين باخبار ليس بالحقيقة.

كان أول ضوء للفجر يتسلل عبر الستائر عندما نامت أخيراً... ولكنه وعندما قابلت أخاها حول مائدة الافطار لم تدهش حين سألها عما بها، فأجابت:

«لاشيء... لم أنم جيداً هذا كل ما في الأمر!»

وبادرها قائلاً:

«سكوت، ظل معك فترة طويلة... وعندما عادت صديقته بدت وكأنها تبحث عنه.»

«كنا في الحديقة نتحدث...»

«تتحدثان؟»

«نعم... نتحدث فقط...»

«جين... لست... أقصد... أنت وهو!»

«ليس... قلت لك إن سكوت لم يعد يهتم بي...»

«وأنت نفسك... ما هو شعورك نحوه؟»

«كيف يشعر المرء عادة نحو صديق قديم لقد افترقنا لأننا لم نكن متناسبين.»

«ولكنه طلب منك أن تتزوجيه... لا أستطيع أن اتصور سكوت كنغزلي يذهب الى هذا المدى إلاّ إذا كان واثقاً مما يفعله، كما أنه أيضاً لم يتزوج أبداً... ألا يعني هذا شيئاً؟»

«لايعني شيئاً ذا أهمية، انه يفضل أن يقضي وقتاً طيباً مثل رجال كثيرين غيره.»

«هل أنت متأكدة أنك راضية عن هذا الموضوع؛ أعني أن نبدو أنا وأنت متزوجين؟»

«لست سعيدة... كنت تعرف منذ البداية أنني أكره الخداع، ولكنني وافقت عليه أخيراً وأنا مستعدة لأن أتمسك بقراري.»

www.liilas-romance.com

«لو كان في وسعك اخبار سكوت انك لست متزوجة فان هذا قد يؤثر كثيراً على حياتك، ان الزواج من شخص مثله أمر يروق لنساء كثيرات جداً.»

«ان سكوت لن يرغب إطلاقاً في أن يتزوجني، فلا حاجة بك لأن تقلق باليس. والآن فلنترك هذا الموضوع أرجوك، هناك أشياء أخرى أكثر أهمية تحتاج الى النقاش، هل أعددت كل شيء لحفل الشواء الليلة؟»

«تقريباً... ولكني سأكون مشغولاً طوال اليوم بالطبع، هل تعتقدين أن سكوت سيأتي؟»

«لن أدهش اذا جاء.»

«اذن يجب أن يكون الحفل على أكمل وجه، وأمل أن تأتي أشياء كبيرة من هذه الوظيفة ياجين.»

وبدت السعادة في عينيه، ثم استطرد قائلاً:

«سكوت يبدو مأخوذاً راضياً عما فعلته حتى الآن، لقد أبدى تعليقات عن عدة تغييرات أجريتها، ويبدو واضحا أنه منتبه الى كل شيء. ان الشركة تملك فنادق أكبر من هذا وأتمنى أن أدير فندقاً كبيراً حقاً.»

ولم تقل جين شيئاً، كان الوضع كما تصورته تماماً... لابد أن تحتفظ بالسر وإلاّ فسينهار مستقبل أخيها.

بعد نصف ساعة كانت في طريقها الى منزل دريفتوود، وأفكارها تنتقل في كل الاتجاهات ولكنها تعود دائماً الى اللحظة التي تكون فيها وجهاً لوجه مع مخدومها، ترى كيف سيكون ردّ فعله على رؤيتها في ضوء الصباح البارد؟

وكما كانت شكوكها تماماً حيّاها سكوت بتلك النظرة الساخرة مستمتعاً بشعورها بالاستياء ولم تغادر عيناه وجهها الذي احمر:

«حسناً... كيف نحن هذا الصباح؟»

«أنا بخير... أشكرك.»

وبعد لحظة قال:

«واضح أنك لم تتلمي جيداً... هل كنت تفكرين بي؟»

«لديّ أشياء أخرى أكثر أهمية تحتاج الى تفكيري!»

«مثل ماذا؟»

كانت جين في غرفة مكتبه فسألته عما يجب أن تعمله، وذكرته قائلة:

«قلت إن هناك تقريراً لأكتبه على الآلة الكاتبة.»

«لاتتبعي هذا السلوك معي، انك تعملين عندي، وقد حذرتك حتى تتذكري هذا.»

«أود أن أجعل كل شيء على مستوى علاقة عمل، انني أعمل عندك، كما تقول، كسكرتيرة لك، ويجب أن تبدأ وتنتهي علاقتنا على هذا المستوى.»

«مستوى العمل؟ لعلك على حق ياجين... سنرى.»

وأصبح جامداً فوراً، وأصدر لها أوامر اليوم وقالت بطريقة آلية:

«هل أكتب التقرير على الآلة الكاتبة أولاً؟»

بالطريقة الآلية نفسها وصلت الى الباب وفتحته وخرجت، ولم يحدث وقع أقدامها صوتاً فوق السجادة السميكة، وأغلقت الباب وسارت في الردهة نحو غرفتها، ووضعت التقرير فوق مكتبها، وجلست أمام الآلة الكاتبة، وببطء أزاحت غطاء الآلة وشعرت بالدموع على أهدابها. مستوى عمل؟ كان هذا آخر شيء تريده... ومع ذلك طلبته. وقد وافق سكوت نصف موافقة وأبدى عدم اهتمام. ومع ذلك كان في الليلة الماضية مصراً على أن يجد كل منهما متعة مع الآخر على حد تعبيره، انه لايغير رأيه عادة. كانت مثلها العليا تعني الكثير لها، ولم يكن لديها نية لأن تسمح لسكوت أو أي رجل آخر أن يسلبها هذه المثل...

وهمست بعنف:

«لن أكون امرأته، مهما كان شعوري نحوه!»

وفي وقت لاحق من اليوم نفسه أعادت التقرير الى سكوت بعد أن كتبته على الآلة الكاتبة، والتقت عيناها لحظة وهي تضعه على مكتبه، وأخذه وأزاح

www.elromancia.com

الغلاف، ونظر الى الصفحة الأولى وهو يفكر ويقطب جبهته، وشعرت جين بنبضها يسرع وهي تراقب تعبير وجهه المتغير أثناء مراجعته الصفحات. وقال لها بصوت حاد:

«لقد تركت شيئاً في الصفحة الأولى.»

وعندما راجع التقرير عاد يقول مرة أخرى:

«نعم، وهكذا ستكون كل أرقام الصفحات خطأ.»

«أنا تركت شيئاً؟»

وعضت جين شفتها السفلى في قلق، ذهنها لم يكن مركزاً على عملها طوال الصباح، ولكن لم يخطر لها أنها ارتكبت غلطة كهذه فقالت:

«سأذهب وأحضر نسختك الأصلية.»

وألقى اليها بالتقرير فالتقطته:

«يبدو لي أن صفحة كاملة من نسختي محذوفة.»

«لا يبدو أن هناك أية كلمة محذوفة.»

«جين... أنا أقول إن شيئاً غير موجود، فلا تقفي وتجادلي، اذهبي وأحضري نسختي.»

«نعم...»

قالت هذا وتركت التقرير على مكتبه، وغادرت الغرفة وهي منفعلة، وبعد دقائق قليلة عادت تقول:

«انك على صواب، لقد تركت صفحة كاملة.»

«سيتعين عليك أن تكتبي التقرير كله مرة أخرى.»

وامتنعت عن الجدل فقد أدركت فوراً أنها ستتلقى السباط من لسانه لو أنها عارضت كما فعلت مرة من قبل... ولكنها لم تكن تنوي إعادة كتابة التقرير كله... كانت تستطيع بسهولة أن تمسح الأرقام وتعيد ترقيم كل صفحة، وهذا هو ما فعلته بعد أن أضافت الصفحة الناقصة، وما كادت تقدم التقرير حتى ندمت

على عدم إطاعتها أوامره، فقد نظر اليها بعينين ضيقتين حاسمتين وقال وهو يخبط على التقرير بأصبعه:

«أعتقد أنني طلبت منك اعادة كتابة كل هذا، أرجو أن تفسري لي لماذا لم تعملي كما أمرتك؟»

«لم... لم يكن من الضروري أن أكتبه كله ثانية، لقد أعدت ترقيم الصفحات بطريقة نظيفة.»

قاطعها بخبطة شديدة على المكتب، فقفزت من مكانها وقالت:

«أنا آسفة.»

«عندما أعطي تعليمات أتوقع تنفيذها.»

ثم اضاف:

«اكتبيه ثانية اليوم.»

ونظرت الى الساعة بطريقة آلية، وبعثت حركتها وميضاً في العينين الزرقاوين الجامدتين:

«نعم... اليوم.»

كان من المضحك حقاً أن يأمر بإعادة كتابة التقرير كله، هكذا فكرت وقد اشتد حنقها وهي تنظر اليه، ولكنها لم تجهل السبب لهذا الأمر، مرة أخرى كان يريد إشعارها بأنه هو السيد وأنها مجرد موظفة عنده.

كانت مجهدة جداً عندما انتهت من عملها أخيراً، لم يكن سكوت في غرفته كت التقرير على مكتبه وعادت الى كورال غيبلز.

وعندما التقت ليس قالت:

«آسفة لأنني لم أكن هنا حتى أساعدك، أرجو أن تكون قد أعددت كل شيء.»

«نعم. إن عندي هيئة موظفين مدهشة هنا.»

«أعتقد أنه يجب عليّ أن استعد.»

«سأراك فيما بعد.»

ثم صعدت الى غرفتها... وكانت تتساءل الى متى تستطيع ان احتمال سلوك سكوت الغريب؟

وكانت جين مكتئبة وتشعر بالارهاق من قلة النوم، حتى كادت أن تترك حفل الشواء وتصعد الى غرفتها، فابتعدت عن حشد الضيوف الذين كانوا يقفون ويتحدثون تحت النخيل، وهم يحملون أطباق الطعام الذي يعده أهالي الجزيرة على النيران التي أشعلوها على الشاطىء، وفكرت أن استراحة قصيرة قد تنعشها، ووجدت ركناً هادئاً من الحديقة بعيداً عن وهج الأضواء التي تثير الأعشاب والأحراش، وهناك وجدت مقعداً خشبياً تحت شجرة جميلة فجلست وأسندت رأسها على جذعها وترامت بعض الأصوات الى أذنيها، وتراجعت بعيداً عن الممر.

«أعتقد أنه يتعين عليّ ترك كورال غيبلز يامرغريت، لايمكن أن أبقى تحت الظروف الراهنة.»

كانت المتحدثة هي جوين موظفة الاستقبال الشابة التي حضرت الى الفندق بعد أسبوع من وصول جين وليس، كان ليس قد عينها واختارها من بين ستة أفراد بعد أن قدمت السيدة بيكويل، موظفة الاستقبال الموجودة، إخطارها بالرحيل.

«كنت حمقاء جداً يا جوين.»

هكذا قالت مرغريت وفي صوتها نبرة من التعاطف، وأضافت قائلة:

«انها مسألة مؤلمة جداً... عندما تحبين رجلاً لايمكن أن تتزوجيه، انني أعرف موقفك فقد حدث لي الشيء نفسه.»

«كان متزوجاً؟»

«نعم... وقررت أن أبتعد عن طريقه مثلك، انه الشيء الوحيد الذي يمكن عمله، وعلى مر الوقت تستطيعين التغلب على عواطفك، أما اذا بقيت فان الأمر قد يزداد سوءاً.»

«ليتني ما أتيت الى هنا، في بعض الأحيان أتصور أنني لا أستطيع الرحيل... لا

أستطيع الابتعاد عنه، ولكن في أحيان أخرى أدرك أنه يجب علي أن أرحل.»

وتوقفت لحظة ثم قالت:

«لا يبدو إطلاقاً أنهما يحبان بعضهما البعض.»

«لا بد أنهما يحبان بعضهما فقد تزوجا منذ عدة شهور فقط كان يجب على السيد كوتس أن يتزوج حتى يحصل على الوظيفة.»

وتلاشى صوت مرغريت تدريجياً، بينما كانت الفتاتان تسيران يخفيهما عن عيني جين سياج الأشجار الكثيف.

وجلست جين ساكنة تماماً وقد صدمها ماسمعته، ان جوين تحب ليس، وتعتقد أنه متزوج، لقد بدت من صوتها تعيسة جداً...

وانتشر شعور جين بالكآبة مثل عباءة تغلفها، يالـه من وضـع ملعـون جوين فتاة رقيقة جداً، ورغم أن ليس لم يكن مهتماً بها في الوقت الحاضر، إلا أنه قد يهتم بها فيما بعد اذا بقيت جوين في الفندق.

وهمست جين لنفسها: شبكة الكذب، كيف أستطيع التخلص منها؟ ما كان يجب أن أفعل هذا إطلاقاً.

وأفلتت منها تنهيدة عميقة عندما نهضت وشقت طريقها الى الشاطىء، ان صورة ألما وهي تتعلق بذراع سكوت لم تفعل شيئاً لتساعدها على رفع روحها المعنوية، ولم تكن تحتاج إلاّ لأن يسعى اليها السيد برادشو حتى تصل الى حد البكاء، قال لها عندما رأها:

«أه... هذه أنت ياعزيزتي السيدة كوتس، كنت أبحث عنك طوال المساء، ألا تأتين وتتناولين مشروباً معي؟»

وأومأت في إرهاق وقالت:

«طبعاً ياسيد برادشو.»

وبدأ يسيران عائدين الى الفندق وسألته:

«هل تستمتع بحفل الشواء؟»

«جداً في الواقع الطعام مدهش ولكنني افتقدتك، انني أحب صحبة الشباب، وخاصة الفتيات الصغيرات الجميلات.»

كانا يجلسان عندما دخل سكوت وألما، وسأل سكوت وهو يبتسم اذا كان يستطيع الانضمام اليهما. ورغم البرود الذي نشأ بينها وبين سكوت رمقته جين بنظرة امتنان وردّ عليها بايماءة طفيفة من رأسه، وبعد دقائق قليلة همس في أذنها قائلاً:

«يبدو أنني أنقذك دائماً من العجائز! ماذا تفعلين لتربطي نفسك مع هؤلاء المتقدمين في السن؟»

«يبدو أن فيّ شيئاً يروق لهم!»

وعندما همّ بأن ينحني نحو أذن جين مرة أخرى قالت ألما شاكية:

«سكوت، حبيبي، لماذا تهمس؟ هل تحتفظان، أنت والسيدة كوتس، بسر؟»

«كيف خمنت؟ الواقع أن بيننا سراً.»

«اذن أريد الاشتراك فيه.»

«تطالبين يا ألما ! لاشك أنك تعرفينني الى درجة لاتجعلك تستعملي كلمة كهذه!»

قال سكوت هذه العبارة بنعومة، واحمر وجه الفتاة قليلاً... ومطت شفتيها، ونقلت جين نظراتها ورأت سكوت يقطب جبينه ويبدو نافد الصبر، يستحق هذا! كان يجب أن تكون لديه حكمة تمنعه من الخروج مع فتاة مثل ألما بونسول.

«لست في مزاج لطيف جداً ياسكوت، أعتقد أنني سأطلب منك أن تعود بي الى البيت.»

«بيت؟»

«حسناً الى حيث أقيم.»

كان واضحاً أنها شربت كثيراً... هكذا فكرت جين، وقد ثبتت هذه الفكرة

كلمات الفتاة عندما قالت:

«انني أعيش على جزيرة سان فنسان ياسيدة كوتس، اذا كانت لذلك أية أهمية لك.»

«لا أهمية لذلك.»

«لا أهمية لذلك! يالها من وقاحة، يجب أن تهتمي بكل ضيوفك!»

«ولكنك لست واحدة من ضيوفنا ياآنسة بونسول!»

«انني ضيفتك الليلة، لقد أحضرني سكوت وهكذا يكون كلانا ضيفيك!»

«ولكنك تقيمين في فندق آخر ياآنسة بونسول.»

«في فندق الـ...»

وتوقفت وقطبت جبينها:

«لا أستطيع أبداً أن أتذكر الاسم، ولكنه مكان عفن، لقد طلبت الاقامة هنا ولكن موظفة الاستقبال عندكم تصر على أن فندقكم كامل العدد، وأنا واثقة أنه ليس كذلك!»

«وأنا واثقة تماماً أنه كامل ياآنسة بونسول.»

«حسناً... لايهم... سوف أعود الى بيتي بعد غد...»

ومالت نحو سكوت، وتلقت جين لفحة من العطر الثقيل الذي تتعطر به ألما ومضت ألما تقول:

«وسوف تأتي أيضاً. أليس كذلك ياحبيبي؟»

«أعتقد أنني سأذهب الى سان فنسان بعد غد.»

«انني سعيدة جداً لأنني أكره فعلاً السفر وحدي.»

ووزعت ابتسامة مغرية على الموجودين... وتوهج وجه برادشو وسأل ألما كيف أنهما لم يلتقيا قبل الآن! وقال:

«السيدة كوتس تعرف أنني أستمتع بصحبة الفتيات الجميلات.»

وتبادل سكوت وجين النظرات، وقالت ألما:

www.elromancia.com

«أتيت فقط لحضور حفل الشواء، هل أنت بمفردك هنا؟»

«بمفردي تماماً... ولكن السيدة كوتس تتواجد في المساء وتظل في صحبتي، أليس كذلك ياعزيزتي؟»

وقالت جين وهي تغتصب ابتسامة:

«انني أحاول ياسيد برادشو، فغالباً ما يكون لدي أعمال أخرى.»

وتثاءبت ألما وقالت:

«سكوت حبيبي... انني متعبة جداً... هل تعود بي الى فندقي؟»

وتوقفت، وعندما لم يرد في الحال أضافت بدلال:

«أم أنني أستطيع الاقامة في منزلك الجديد الجميل؟»

«هل هذا هو ما تريدينه؟»

«كم أود ذلك... ألم أقل تواً إن فندقي فظيع؟»

«لقد قلت يا ألما ولكن من الصعب جداً ارضاؤك، تذكري!»

«أعرف أنني سأكون أكثر من راضية بمنزلك الجديد...»

«لقد رأيته فعلاً...»

«ولكنني لم أنم هناك أبداً...»

وبدا الصوت المفعم بالدلال في أذني جين الناقدتين يحمل معنى خفياً!

ونظرت الى سكوت وأخبرته عيناها بصراحة عن رأيها في ألما. وارتجف فمه وأدركت جين أنه مسرور في قرارة نفسه...

«اذن ياعزيزتي سوف تنامين هناك الليلة!»

وذهلت جين... لم تعتقد حتى هذه اللحظة أن سكوت سيأخذ الفتاة الى بيته.

نهض سكوت وقال:

«هيا بنا.»

ونهضت ألما ودست ذراعها في ذراعه قائلة:

«تصبحين على خير ياسيدة كوتس، تصبح على خير ياسيد برادشو، قد نلتقي

ثانية في وقت ما.»

وتدفق الدم الى وجنتي برادشو وقال:

«أمل هذا باخلاص، نعم الواقع أنني أرجو هذا، الى اللقاء.»

والتقت عينا سكوت بعيني جين، كان سروره الداخلي مايزال هناك، ولكن صوته لم يكن متسماً بهذا السرور عندما قال:

«سيدة كوتس، تبدين متعبة جداً، أعتقد أنه يجب عليك الاخلاد للفراش، ألا توافق ياسيد برادشو؟»

وقطب الرجل المسن جبينه وقال:

«حسناً.»

«كنت أعرف أنك ستتفقين معي ياسيدة كوتس.»

باشارة من يده أوضح أنها يجب أن تتقدمه، وأطاعت بامتنان الدعوة الصامتة.

وبابتسامة حيّت الرجل المسن تحية المساء وتركته وسارت مع سكوت ورفيقته. وتمتمت بنعومة بينما كانت ألما مشغولة بتمشيط شعرها أمام مرآة:

«أشكرك...»

«لاداعي للشكر على الاطلاق، تصبحين على خير ياجين، سأراك في الصباح.»

وأومأت برأسها فقط بينما سار سكوت وألما معاً ليقضيا الليلة في منزله.

وبعد ذلك أضافت الغضب الى عواطفها الأخرى بينما رقدت مستيقظة في فراشها تتقلب على جنبيها لاتستطيع النوم.

٦ ـ قناع الكآبة

عندما وصلت جين الى منزل دريفتوود في الصباح التالي، كان سكوت في مكتبه، دخلت بعد أن طرقت الباب وقالت:

«صباح الخير.»

«صباح الخير ياجين.»

ونظر اليها سكوت متمعناً، ثم أشار الى كرسي بجوار مكتبه، وجلست وحملقت في مفكرتها، وتساءلت ترى أين ألما؟ لعلها لاتزال في الفراش... وقال بطريقة عرضية:

«توجد عدة رسائل لتكتبيها على الآلة الكاتبة، وتقرير آخر...»

وخلال الدقائق العشرين التالية، أو نحو ذلك، كانت مشغولة ولكن ذهنها ظل يفكر في ألما، واضطرت مرتين أن تطلب من سكوت تكرار ما قاله.

وسألها وهو يقطب جبينه:

«ماذا بك هذا الصباح؟ ركزّي.»

وعضت جين شفتها وبذلت كل ما في وسعها حتى يظل ذهنها مركزاً على عملها، ولكنها فشلت مرة أخرى، وفي هذه المرة انطلق الصوت المتعالي لمخدومها يطلب منها معرفة ما بها، كانت عيناه جامدتين وبدا فمه وفكه في وضع لم تره إطلاقاً من قبل... وفجأة ارتجفت شفتها ووجدت نفسها تطرف بسرعة لمنع

الدموع التي كادت تنهمر، وفكرت بتعاسة لم يكن على هذا النحو مع ألما، ثم حزنت عندما خطرت لها هذه الفكرة، لأنه رغم ما كانت تشعر به إلاّ أنها لم ترغب في أن توضع في القائمة نفسها مع امرأة تطلب، بكل جرأة، أن تنام في منزل رجل!

وقالت بصوت جاف:

«اذا سمحت لي... انني لست على مايرام... أقصد... أشعر بصداع.»

«صداع؟ هل هذا هو سبب دموعك؟»

ومرت بيدها على عينيها في قلق:

«انني لا أبكي.»

«لا؟ اذن لا بد أنه يوجد شيء في عينيك!»

«هل يتعين عليك أن تغيظني؟ ما هو هدفك؟ هل تنتقم مما فعلته لك منذ أربع سنوات؟ واذا كنت تنتقم فانني أعتبره سلوكاً حقيراً...»

وما كادت تنطق بالكلمات حتى ندمت عليها، فلم تكن العبارات التي يمكن أن يقولها الموظف لرئيسه!

وضاقت عيناه لحظة قبل أن تستقرا على وجهها، وحملقت مبهورة بالتعبير الغريب الذي لحظته مرة من قبل، وتساءلت... فيم كانت أفكاره؟ لقد نسيت ألما لأن المشهد يخصها هي وسكوت وحدهما، كان المشهد حمياً على نحو غير محدد بسبب الصمت والطريقة التي كان سكوت ينظر بها اليها، وبسبب إحساسها الخاص بها، وإدراكها الهام أنه رغم غضبها واكتئابها فانها تستجيب عاطفياً للرجل الذي أحبها حباً جماً في يوم من الأيام، حتى أنه طلب منها أن تتزوجه.

وأخيراً قال:

«أعتقد ياجين أنك تعرفينني بطريقة كافية تجعلك واثقة بأنني لن أقدم على أي انتقام، ان مثل هذا السلوك يعتبر حقيراً كما قلت.»

كانت النبرة ناعمة تكاد تكون لطيفة، وأمسكت جين أنفاسها، أطلقت شهقة صغيرة وبدأت شفتها ترتجف في رعشة مرة أخرى، أين كان اتزانها؟ أين

www.elromancia.com

القوة والثقة بالنفس اللتان تمسكت بهما أيام زمان؟ كانت هي التي تظهر تعالياً، بل عجرفة... في معاملاتها مع سكوت، وكان هو الذي بدا مفتقراً قليلاً الى الثقة بالنفس، بل متردداً مذبذباً في بعض الأحيان.

«أعتقد أنك تدينين لي بالاعتذار.»

قال ذلك وهو يقطع أفكارها التعيسة، وأحنت رأسها في حركة لاارادية تنم عن الموافقة، وقالت في نبرات هادئة جافة:

«أنا آسفة، لا أعرف ما الذي جعلني أقول هذا.»

وفجأة حول سكوت نظره عنها، وكأنه لا يريد أن يكشف عن تعبير وجهه، كان صوته لايزال لطيفاً عندما تكلم، ولكنه كان حاسماً أيضاً:

«ستعودين الى كورال غيبلز وتذهبين الى فراشك.»

نظر اليها ملياً وقال:

«انك لم تنامي... أليس كذلك؟»

وهزت رأسها بدون تردد قائلة:

«لا... لم أنم.»

وبعد لحظة سألها بنعومة:

«لماذا لم تنامي ياجين؟»

«بسبب الحر!»

وكانت تأمل أن يكون سبباً معقولاً، كانت قد لحظت عدة مرات أنه قوي الملاحظة ووجدت نفسها الآن تخشى أن يخمن السبب الحقيقي لعدم نومها.

وهز كتفيه وقال بدون اهتمام كبير:

«اذا قلت انه بسبب الحر فهو اذن بسبب الحر.»

ونظرت اليه بسرعة، ولكن وجهه كان غاضباً لايعبر عن شيء وتمتمت قائلة:

«لاداعي لأن أنصرف.»

فهمت الآن فقط المعنى الكامل لقراره بالعودة الى بيتها... كان واضحاً أنه

قلق عليها وكان لفهمها هذا أثر عجيب عليها، مما أدى الى دمعة تنهمر على خدها.

وقطب سكوت جبينه عندما لحظها. ومرة أخرى حول نظره عنها... كانت جين متأكدة من أن قلقه نابع من فكرة أنه اذا لم يدعها تعود الى بيتها الآن فانها قد تمرض ولاتستطيع الحضور للعمل عدة أيام... وهي تعرف أن هذا سيزعجه وأنه لا يهتم فقط الاّ بهذا الازعاج!

قال وهو يتجاهل كلماتها:

«سوف أعود بك في سيارتي... اذهبي واجمعي حاجياتك.»

«ولكن...»

وقطع الاعتراض بتعبير وجهه حتى قبل أن يتكلم، وكرر بهدوء كبير قائلا:

«اذهبي واجمعي حاجياتك ياجين، سوف أنتظرك في الخارج.»

كانت الرحلة الى كورال غيبلز صامتة، اذ استغرق سكوت في التفكير بينما عادت جين بأفكارها الى ألما مرة أخرى، وسادت الكآبة ملامح جين بالاضافة الى التعب الذي كان مستولياً عليها.

وابتلعت جين غصة استقرت في حلقها،

«ها نحن قد وصلنا.»

قال سكوت هذه العبارة فجأة، نطقها لمجرد أن يقطع الصمت العميق الذي ساد طوال الرحلة القصيرة من منزل دريفتوود الى كورال غيبلز. واستطرد قائلاً:

«تذكري ما قلته... اذهبي الى فراشك.»

«أشكرك لأنك سمحت لي بالعودة، سوف أكون على خير مايرام في الصباح.»

ونظر اليها بدون اهتمام وهو ينحني ويفتح لها الباب، وخرجت وأغلق الباب.

وتصادف أن جاء ليس في تلك اللحظة، وتغير تعبير وجهه في الحال، فبدا القلق في عينيه وهو ينظر الى أخته متفحصاً، وسألها بقلق وهي على وشك أن تشرح له الأمر:

www.elromancia.com

«هل حدث شيء؟»

«لقد شعرت بالتعب وسمح لي سكوت بالعودة.»

«أنت شعرت بالتعب؟ وعرف هو هذا؟»

«لقد خمن أنني لم أنم.»

«لا بد أنه كان شديد الملاحظة.»

«لم أكن أركز عل عملي، ولذلك كان لا بدّ أن يلحظ أنني لست على ما يرام.»

«لقد عاد بك الى البيت بنفسه؟»

«نعم... لعله أعتقد أن هذا أسرع من طلب تاكسي تليفونياً.»

كان ليس لايزال يراقبها متمعناً. وأخذ يفكر بشيء من الضيق. وقتم قائلاً وكأنه يحدث نفسه:

«انني أتساءل: لماذا يقلق عليك الى هذا الحد؟ انني متأكد أنه لم يكن كأي رئيس عمل آخر ليفكر بأن يعود بك الى البيت بنفسه.»

«لم تكن المسافة بعيدة.»

«أعرف ولكن لا بدّ أن هناك سبباً ما لقلقه عليك.»

وسكت ليس وأخذ يفكر

«اذا كان لايزال مهتماً.»

لكنه قطع عبارته بحدة ونظر اليها، ورغم جهود جين في الاحتفاظ بهدوئها إلا أن الدم تدفق في وجنتيها ، وعندما لم تتكلم استمر ليس قائلاً:

«يبدو أنني أتذكر أنك تجنبت رداً مباشراً عندما سألتك عن شعورك نحو سكوت.»

وهزت كتفيها بدون اهتمام، وهي تأمل أن تأتي الحركة بالأثر المطلوب.. وقالت:

«لايمكن أبداً أن يكون هناك أي شيء بيني وبين سكوت الآن. لقد قلت لك ذلك ياليس.»

وظل متشككاً، واستغرق في حالة من التخمين. وأخيراً قال:

«لا أزال أعتقد أن عدم زواجه أمر غريب.»

«انه يقضي وقتاً طيباً بدلاً من الزواج!»

لقد وجدت جين صعوبة في ابداء رأيها وحاولت تجنب عيني أخيها وهي تتكلم. واستمرت تقول:

«لقد اعترف لي أنه يفضل هذا النوع من الحياة على الزواج»

وهز ليس رأسه وقال:

«لايبدو لي إطلاقاً أنه من ذلك النوع.»

وفتحت فمها لتخبره أن ألما نامت في منزل دريفتوود الليلة السابقة، ولكن شيئاً ما منعها، لم ترغب في أن يعرف ليس هذا الحادث بالذات، ولكنها قالت:

«انه من ذلك النوع ياليس، لقد قلت لك أنه اعترف بذلك.»

«من الغريب أن يكون مستعداً للاعتراف به على هذا النحو، ألا تعتقدين هذا؟»

«لا أعرف بالضبط الى أين تقودنا هذه المحادثة ياليس، أو ما الذي تريد أن تصل اليه، ولكنني أريد أن أذهب الى الفراش اذا سمحت لقد أوصلني سكوت الى هنا حتى أرتاح.»

«انك تتهربين ثانية، لن أهتم إلا بشؤوني الخاصة في المستقبل.»

«هل تسمح بايقاظي وقت الشاي؟»

«ألا تريدين أي غداء؟»

«لا شكراً ياليس... سأحاول النوم فترة طويلة...»

ولدهشتها استطاعت أن تنام حتى أيقظوها ولكنها ظلت فترة تفكر في سكوت، وبتنهيدة عميقة نهضت أخيراً، وأخذت حماماً وارتدت ثوباً قطنياً جميلاً بفتحة عنق منخفضة، وبدون أكمام، وشعرت بتحسن، وبدا منظرها أفضل، هكذا لحظت ببعض الارتياح وهي تلقي نظرة أخيرة في المرآة قبل أن تهبط الى الطابق السفلي حيث يقدم الشاي في غرفة الجلوس. كانت اجازة جوين في ذلك

www.elromancia.com

الأصيل، فجلست وحدها في الشرفة... وخرجت جين الى الشرفة وانضمت اليها، وهربت لأول مرة من المسنين الذين يتجمعون في غرفة الجلوس في انتظار أن يقدم لهم شاي بعد الظهر.

ونظرت جوين اليها وابتسمت، كان واضحاً أنها لم تكن سعيدة، وأن الابتسامة مغتصبة، وتعاطفت معها جين بقلبها وتمنت لو تستطيع فعل أي شيء، حتى تخبر الفتاة أنها أخت ليس وليست زوجته. ولكن هذا كان مستحيلاً بالطبع. وساد صمت رهيب بين الفتاتين قطعته جين أخيراً عندما سألت جوين كيف كانت تقضي أجازتها وأجابت جوين بدون اهتمام كبير:

«أسير على الشاطىء.»

«لا أراك تسبحين إطلاقاً.»

«انني أسبح، ولكن ليس هنا، لا أجد متعة في السباحة بمفردي.»

كانت كآبتها واضحة جداً، وقطبت جين جبينها وعضت شفتها وقالت:

«في اجازتك القادمة سنذهب سوياً... سيكون هذا يوم الجمعة على ما أعتقد.»

وأومأت جوين برأسها، كانت عيناها المسبلتان مركزتين على صفحة المياه البللورية الصافية، التي تمتد بعيداً حتى الأفق حيث تلتقي بالسماء الزرقاء التي تنتشر فيها السحب الشفافة، وسألتها فجأة وهي تدير رأسها لتنظر الى جين:

«هل ستأتين لتسبحي معي حقاً؟»

«طبعاً... أنا أيضاً سوف أسعد بالصحبة.»

وبعد لحظة صغيرة قالت في تردد:

«زوجك... السيد كوتس... ألا يسبح معك؟»

«ليس لديه وقت كبير، ولعلك لاحظت هذا.»

«نعم.»

وسكتت لحظة أخرى ثم قالت:

«انكما لم تتزوجا منذ فترة طويلة، أليس كذلك؟»

وأفلتت تنهيدة من جين، كان هذا وصفاً لعيناً. ثم قالت:

«لا ياجوين... لم نتزوج منذ فترة طويلة.»

وشعرت جين بالارتياح عندما شاهدت الساقي يقترب ومعه صينية شاي

جوين، وسألتها:

«هل يزعجك اذا تناولت الشاي معك؟»

وترددت الفتاة قليلاً ثم هزت رأسها:

«لا يزعجني على الاطلاق ياسيدة كوتس.»

لم تكن وجبة سارة جداً، فقد كانت جوين صامتة وحزينة، ولم تتكلم إلاّ للضرورة وتحملت جين ولكن الجو كان متوتراً بطبيعة الحال وهي تحاول أن تجري حديثاً مع شخص مصمم على التزام الصمت، وقالت جوين فجأة بينما تتناول آخر قدح من الشاي.

«سيدة كوتس، أريد أن أقدم إخطاري بترك العمل!»

وساد الصمت، وجلست جين تراقب تعبير وجه الفتاة، ولاحظت بوجه خاص الحركة الطفيفة لشفتيها وسرعة رمش عينيها، مما يدل على أنها كانت على وشك البكاء. لا بد أن تجد طريقة لعلاج هذا الوضع. هكذا فكرت جين، وشعرت بدون سبب معقول أن ليس لابد أن يتنبه في نهاية الأمر الى هذه الفتاة الجميلة.

«وما هو السبب في أنك تريدين الرحيل؟»

هكذا سألتها جين أخيراً:

«أنا... أنا...»

وسكتت جوين، وأدارت رأسها الى الناحية الأخرى، قل تكن تريد أن ترى رفيقتها مدى انفعالها، وبعد لحظة استطاعت أن تقول:

«أنا أريد ترك العمل ياسيدة كوتس، أرجوك لاتطلبي مني تفسيراً أكثر من هذا.»

«ان السيد كوتس سوف يطلب تفسيراً.»

«لا أستطيع أن أعطيه تفسيراً.»

كانت نبراتها مؤكدة وحادة، وأضافت جوين ومازال رأسها ملتفتاً الى الناحية الأخرى:

«ان السبب خاص ولا يمكن أن أكشف عنه.»

«ومتى تريدين أن تتركي العمل؟»

«أتوقع أن أقدم اخطاراً بترك العمل قبل شهر.»

وأجابت جين موافقة:

«أتوقع ذلك، والى أين ستذهبين؟»

«الى بلدي.»

«الى انكلترا، ولكنك كنت هنا في باربادوس منذ مدة، هكذا قال لي زوجي.»

«صحيح... لقد عملت في فندق آخر لمدة أربع سنوات وتركت العمل هناك بعد أن تغير رئيس العمل، ولم أستلطف رئيسي الجديد.»

«آه... نعم أذكر هذا.»

وتوقفت قليلاً ثم سألتها:

«وهل لابد من ذهابك الى انكلترا؟»

«نعم لا بد.»

ولفتت نظرها حركة، فنظرت الى أعلاء كان ليس يبتسم للفتاتين ثم جلس وقال ملاحظاً:

«أرى أنكما كدتما تنتهيان من تناول الشاي، لاتسرعا فانني أكره أن آكل وحدي.»

وأشار الى الساقي الذي أتى في صمت وهو يبتسم فقال له:

«أريد شاياً وكعكاً وشطيرة واحدة فقط.»

وساد صمت محرج، ونظر ليس الى أخته مستفسراً حائراً، ونظرت هي بدورها الى جوين التي كانت نظرتها تقول بوضوح: قولي له أرجوك وقالت جين له:

«جوين تريد أن تتركنا.»

وظهرت تقطيبة سريعة على جبينه، وسأل جوين قائلاً:

«لماذا؟ هل لديك أية شكوى؟»

فهمست وهي تشيح بوجهها:

«لا ياسيد كوتس. لقد قررت فقط مغادرة باربادوس.»

وعندما راقبته جين عن كثب وجدت أن أخاها يبلع ريقه بصعوبة، وسمعته يقول في نبرات يشوبها خليط من الاقناع والندم:

«هل هذا قرار حاسم ياجوين؟ ألا تعيدين النظر فيه؟»

«لا... لا أستطيع البقاء ياسيد كوتس.»

وبعد لحظة طويلة من الصمت هز كتفيه وقال باستسلام:

«حسناً ياجوين، نأسف جداً لأنك تتركيننا بهذه السرعة.»

ونظر اليها واستطرد قائلاً:

«ان قرارك مفاجيء... فقد كنت حريصة جداً للحصول على الوظيفة.»

«نعم... كنت في ذلك الوقت.»

«لا بد أن شيئاً قد حدث.»

وتساءلت جين... ان ليس يلح رغم ما بدا عليه من استسلام، ترى هل يمكن أن يكون قد بدأ يرى جوين في ضوء آخر الى جانب أنها موظفة عنده؟

وقالت جوين وهي تشيح بوجهها حتى تتجنب عينيه:

«أريد مغادرة باربادوس، ولن أغير رأيي ياسيد كوتس.»

وأطلق تنهيدة صغيرة وقال:

«يبدو أنك لن تغيري رأيك، ان اخطارك لترك العمل لا بد أن يبدأ في نهاية الأسبوع القادم ياجوين، هل تفهمين؟»

«كنت أظن أنه يتعين عليّ أن أقدم الاخطار قبل شهر فقط»

وقال بحسم:

«من نهاية هذا الشهر.»

www.elromancia.com

«معنى ذلك أنني سأضطر الى البقاء ستة أسابيع أخرى؟»

«تقريباً.»

وركز عينيه على وجهها عندما التفتت أخيراً لتقابل نظرته، واستطرد:

«أرجو ألا تخذليني.»

وردت بسرعة:

«لا... لا ياسيد كوتس، لا يمكن أن أفعل هذا.»

ولم يقل أكثر من كلمة أشكرك، ثم وجه اهتمامه الى الطعام الذي كان الخادم قد وضعه أمامه لتوه. وصبت له جين الشاي بينما نهضت جوين واستأذنت وتركتهما، ونظر ليس الى جين وقال:

«لماذا تريد أن ترحل؟ هل أخبرتك بسبب هذا القرار المفاجيء؟»

«لا ياليس... لم تخبرني.»

«هل أنت متأكدة؟»

«متأكدة تماماً.»

«لست مقتنعاً.»

«ان جوين لم تخبرني عن أي سبب لرحيلها.»

«يقال، لا يفهم المرأة إلاّ امرأة مثلها، هل لديك أنت شخصياً أية أفكار عن قرارها؟»

وراقبها متمعناً، وشعرت بالدم يصعد الى وجنتيها بينما فرضت الكذبة نفسها على شفتيها:

«لا... لماذا تكون لدي أية أفكار؟»

«لا أعرف لماذا تكون لديك أفكار، ولكنني لست مقتنعاً على الاطلاق! هناك شيء ما لا أفهمه.»

كان قلقاً، وللحظة سريعة فكرت جين، هل تكرر له ماسمعته أم لا؟ ولكنها قررت الاحتفاظ بمعلوماتها لنفسها لأنها أدركت أنها ستحرج ليس اذا كشفت

عنها، في أية حال لم يكن قد أبدى أي دليل على أنه معجب بالفتاة، وبعد قليل قال:

«حسناً... ألا تريدين أن تعلقي؟»

وهزت جين رأسها وهي حائرة، وتنهدت بعمق وارتياح عندما رأت أحد حمّالي الفندق قادماً نحو أخيها، وكان واضحاً أن رسالة له على شفتيه. وقال:

«سيد كوتس... محادثة تليفونية لك.»

«أشكرك.»

وبنظرة الى أخته نهض ليس، كانت وحدها في اللحظة التالية تفكر في الوضع وتشعر بالكآبة أكثر من أي وقت آخر، فقد بدا ليس فعلاً أنه منزعج أكثر من المعتاد من قرار جوين بالرحيل.

وأثرت بالموضوع الى حد أنها كانت في أشد الحاجة الى أن تخبر أحداً، فأخبرت سكوت به في صباح اليوم التالي فور وصولها الى منزل دريفتوود، وختمت كلامها قائلة:

«أعرف أنه ما كان يجب عليّ ازعاجك بهذا الموضوع.»

قالت ذلك عندما رفع حاجبيه وسألها عن سبب اخباره

ثم استطردت:

«الواقع أنك الشخص الوحيد الذي أستطيع التحدث اليه، وكان لابد أن أتحدث الى شخص...»

«وماذا تتوقعين مني أن أفعل بشأن هذا؟»

«لا شيء في الواقع.»

ثم رفعت عينيها الجميلتين الى وجهه وقالت:

«لن توافق على...»

وهزت رأسها ثانية وهي تعبس بشدة.

«تعني الكشف الكامل عن الحقيقة؟ لا ياعزيزتي جين، لن أوافق.»

كانت اللهجة أكيدة والفك صارماً واستطرد:

«في الوقت الحاضر، ليس من مصلحتي أن أكشف عن الحقيقة.»

«ليس من مصلحتك!»

وتذكرت انطباعها السابق بأنها قيدت داخل فخ. واستمرت تقول ببطء وفهم:

«في الظروف الراهنة تملك سيطرة عليّ.»

ولم يبد تعليقاً للحظة، ثم قال أخيراً:

«نعم انني أملك سيطرة معينة عليك.»

ونظر اليها ملياً بعينيه الزرقاوين اللتين تألقتا بالسعادة عندما لحظ لون وجهها يتغير، وأضاف بنبرة غريبة في صوته:

«انني لم احذف تماماً فكرة أن نستمتع مع بعضنا، واذا قررت أن تكون عاشقين فان هذه السيطرة التي أمتلكها عليك ستجعل اعتراضاتك ضعيفة بعض الشيء، اذا أبديت أية اعتراضات.»

وأسرع نبضها واشتد حنقها. ترى هل خمن شعورها نحوه وأصبح واثقاً من استسلامها؟

وأجابت:

«سوف أعترض بكل تأكيد، وحتى السيطرة التي تملكها عليّ لن تجعلني أتخلى عن مثلي العليا.»

وقال ساخراً:

«مثل عليا؟ انها موضة قديمة تماماً مثل الزواج!»

وارتجفت شفة جين رغماً عنها. لو أنه يعرف فقط مدى الألم الذي تحدثه مثل هذه السخرية وهي تخترقها مثل شوكة قاسية! ولكنه لايهتم. لقد مضى الزمان الذي كان يهتم فيه بمشاعرها، مضى منذ وقت طويل، وأصبح بعيداً عن متناول يدها مثل الرجل الذي كانت تعرفه.

وقالت له أخيراً:

«ليس من المهارة أن تكون بمثل هذه السخرية ياسكوت، لايزال يوجد أناس طيبون في العالم.»

«أعتقد أنك تقصدين النساء، عندما تشيرين الى الأناس.»

«يبدو أنك تعتبر كل النساء... منحلات.»

لقد بذلت جهداً قليلاً لتنطق الكلمة الأخيرة، ولكنها استطاعت أن تلفظها، بل استطاعت أن تحدق فيه وهي تقولها.

«كل النساء... منحلات!»

وردت عليه باكتئاب:

«لعله من الأفضل أن أنصرف وأستمر في عملي، ان هذه المحادثة تتخذ اتجاهاً مختلفاً عما قصدته.»

وابتسمت العينان الزرقاوان ابتسامة باهتة.

«كنت تريدين الكلام عن هذه الجوين وأخيك.»

«أتمنى أن أجد طريقة لمساعدتها.»

«لمساعدتها؟ يبدو أنك لم تشهدي أي دليل عن أن أخاك يهتم بالفتاة.»

«لقد بدا حزيناً من فكرة رحيلها.»

«أعتقد أن هذا يرجع الى أنها موظفة جيدة، فالمرء عادة يحب أن يحتفظ بهذا النوع اذا استطاع.»

«انني متأكدة أن الأمر كان أكثر من ذلك.»

«أشك في هذا في أية حال، لايوجد ما يمنع أخاك من عقد علاقة غرامية مع الفتاة! ألم أقل توا ان الزواج موضة قديمة؟»

وردت جين بغضب متجاهلة سؤاله عن الزواج:

«ان ليس لايحلم بإقامة علاقة غرامية، الى جانب أن المفروض أنه متزوج، هل نسيت؟ ان جوين تترك العمل لأنها تعتقد أنه متزوج.»

ولدهشتها أفلتت ضحكة من سكوت، وأضاءت العينان الزرقاوان بمرح على

www.elromancia.com

نحو جذاب جداً، مما أثار ـ بحنين عميق ـ ذكريات كثيرة كانت جين تعتقد أنها ماتت.

كان هذا هو سبب عدم إعجابها بأي رجل آخر طوال هذه السنوات الأربع. ونظرت الى عينيه الساخرتين وتمنت من كل قلبها لو تقول له ما يدور في ذهنها.

وقال سكوت بلمسة من التهكم:

«لا أوافقك على أن أخاك لن يقيم أية علاقة غرامية. ان أي رجل لا يتردد في ذلك اذا وجد الفرصة.»

«وماذا عن جوين؟ هل تعتقد أنها ترضى بعلاقة مع رجل متزوج وتعرف زوجته؟»

وضحك سكوت ثانية وقال:

«لقد ورطت أنت وأخوك نفسيكما في مأزق أليس كذلك؟»

«ربما لن تصدق، ولكنني كرهت الخداع.»

«كرهت الخداع!»

«انني لم أحضر الى هنا إلاّ لأن أخي كان سيشعر بالاحباط الشديد لو أنه فقد الوظيفة، كانت له صديقة، وكنا نعتقد أنها جادة في الزواج، وهذا هو الذي جعله يقدم طلباً لشغل الوظيفة.»

وتوقفت ونظرت اليه معتذرة واستطردت:

«لقد قلت لك هذا من قبل أليس كذلك؟»

«بعد أن كشفت عن حقيقة معرفتي بأنك أخت ولست زوجة مدير كورال غيبلز!»

وتوقف لحظة ثم استطرد:

«معنى هذا أنه لو استطاع الزواج من تلك الفتاة والحضور معها لما أتيت أنت هنا على الاطلاق؟»

«بالطبع لم أكن لأحضر.»

«وهل أنت آسفة لأنك أتيت؟»

وأشاحت برأسها حتى لا يرى تعبير وجهها. فلم تكن تعرف اذا كانت آسفة أم لا. صحيح أنها كانت ستتجنب كثيراً من ألم النفس. ومع ذلك لم تستطع أن تقول حقاً انها آسفة على مقابلة سكوت ثانية هذا رغم كل التغييرات الطائلة التي طرأت على شخصيته. وعندما ظلت ترفض الاجابة أو ترفع رأسها شعرت بأصبعه تحت ذقنها وتمتم قائلاً:

«اذن لست آسفة.»

وفي حماة انتصار اللحظة أخذها بين ذراعيه ثم قال:

«سنكون عاشقين، لن تستطيعي منع نفسك.»

وصرخت وهي تحاول عبثاً الابتعاد عنه:

«سأمنع نفسي، لن أوافق أبداً على أن أرتكب خطأ من هذا النوع.»

«خطأ!»

قال هذا وهو يضحك ويستطرد:

«كيف يمكن أن يكون هذا خطأ عندما يكون طبيعياً؟»

ولم تستطع جين أن تتكلم بسبب الألم والاشمئزاز بداخلها واستمر سكوت:

«سوف توافقين في النهاية.»

«اذن ستنتظر وترى.»

وتمتم:

«أعتقد أنني لن أنتظر طويلاً...»

ثم استطرد:

«انني أريدك، بل أعتقد أنني أفضلك على ألما، وهذا إطراء لك في الواقع لماذا تخجلين ياعزيزتي جين؟ هل لأنك غاضبة؟ أم أنني أحرجتك؟ أم أن إطرائي لك...»

وهمست بعنف:

www.elromancia.com

«انني أكرهك... أعتقد أنك أكثر رجل كريه قابلته في حياتي.»

وأبعدها عنه، ونظر اليها بعينين متسائلتين ولكن ساخرتين أيضاً، وقد بدا فيهما المرح وقال:

«تكرهينني؟ هل تكرهينني حقاً؟ أخبريني الآن لماذا تكرهينني فجأة؟»

«بسبب التغيير... اذا كان لابد أن تعرف.»

«آه...»

ومن الغريب أنه بدا راضياً بإجابتها، وقال:

«اذن أنت لاتحبين التغيير؟»

ولم تستطع إلا هزّ رأسها في صمت فقد شعرت بالدموع تملأ عينيها بسبب الحزن العميق الذي يعتمل بداخلها وقال:

«كنت آمل أن يكون التغيير للأفضل.»

وشكت قليلاً في أنه يكتم الضحك... واستطرد:

«اذا تذكرت ياعزيزتي جين أنك كنت تشعرين بالضيق مع رجل غير مجرب... أوه... انك لم تقولي هذا بصراحة، الواقع كنت لبقة في الطريقة التي صغت بها شكواك من شخصيتي، ورغم ذلك كان واضحاً جدا أنك تحتقرين الرجال الذين من طرازي، ويبدو أن مثلك الأعلى يجب أن يكون طاغية يحيلك الى عبدة. ولكن يجب أيضاً أن يكون رجلاً... عرف الكثيرات... رجلاً عابثاً في الواقع.»

كان المرح يزول تدريجياً من صوته وهو يتكلم حتى أصبحت عيناه متقدتين بالغضب في النهاية، وهزت جين رأسها في حيرة وهي دهشة من أنه يتكلم معها بهذه الطريقة، ماذا يهم ما قالته في الماضي؟ كان يجب أن ينساه سكوت منذ زمن طويل، وتذكرت أنه شكرها على أنها رفضته في الواقع، كان ممتناً على أنه هرب من الزواج بل مضى وقال ان الرجل يستطيع أن يستمتع بكل المزايا بدون أن يحمل على عاتقه العبء الثقيل وهو النصيب العادي للرجل المتزوج. وضمها اليه... وحاولت أن تنتزع نفسها من بين ذراعيه، ولكن ذراعيه قبضتا

عليها بشدة وتسلط حتى تألمت وأطلقت أنة ألم وصرخت:

«دعني أذهب... لقد حضرت الى هنا لأعمل وليس لـ...»

وتوقفت ولم تعد تعرف ماذا أرادت أن تقول...

«نتطارح الغرام...»

هكذا أتم سكوت جملتها بنبرة عجيبة، واستطرد:

«ان الوقت لايزال مبكراً في الصباح، ولكنك مغرية جداً، خاصة وأنت في هذه الحالة من الاعتراض.»

ومرة أخرى حاولت عبثاً أن تتخلص من قبضته... وقال لها:

«انني استمتع بالنضال، وأعتقد أن النساء أيضاً يستمتعن به فغالباً ما يفعلن ماتفعلينه أنت الآن، هل مقاومتك حقيقية أم تهدف الى أن أستمر؟»

كان يضحك منها ويستمتع بعجزها وضعفها وهي تحاول الهرب من قبضته، وأحنى رأسه عليها ومضى يقول:

«انها متعة حقاً أن أسيطر عليك ياجين، تستطيعين التأكد من أنني سوف أستعمل كل قوة من أجل ذلك!

٧ ـ تهديدات العاشق

خلال الأيام القليلة التالية كانت جين تخشى أي مزيد من الجدل مع سكوت، الذي بدأ تهديده أمراً لايستهان به. على أن الأيام مرت بدون أحداث حتى بعد ظهر يوم الاثنين عندما قال سكوت لجين انها تستطيع أخذ اليوم التالي إجازة لأنه سيذهب الى سان فنسان.

وأحضر ألما معه عند عودته وتناولا العشاء في الفندق مساء يوم الاثنين. لم يكن صديق ألما الآخر موجوداً ولذلك رقص معها سكوت طوال الوقت حتى الساعة العاشرة والنصف، عندما رأتهما جين يسيران نحو ركن من أكثر أجزاء المنطقة عزلة وظلاماً.

وفي يوم الثلاثاء سألت جين لو تستطيع الانصراف قبل موعدها بنصف ساعة، اذ كانت ستقابل رجلاً عنده سيارة للبيع. سيحضرها الى كورال غيبلز وكانت جين تأمل أن تناسب متطلباتها وذكرها قائلاً:

«قلت انني سأفحص السيارة لك هل نسيت؟»

«لا... ظننت أنك ربما غيرت رأيك بعد... بعد الحالة التي كنت فيها... في ذلك اليوم.»

وأضاءت ضحكة عينيه وقال بدون اهتمام:

«كانت مجرد تسلية... كنت جذابة جداً وشعرت برغبة في أن آخذك بين ذراعي و؛

صلة لهذا بالأشياء الأكثر عملية وأهمية مثل شراء سيارة... سأفحصها لك بالطبع، هل تقولين انهم سيحضرونها الى كورال غيبلز بعد ظهر اليوم؟»

«نعم... ان الرجل لايستطيع إحضارها في أي وقت آخر.»

«وهو كذلك... نستطيع أن نكون هناك.»

ونظر الى ساعة يده وهو يتكلم.

«هل ستوصلني الى الفندق؟»

«اذا كنت سأذهب الى كورال غيبلز فمن البديهي أنني سأوصلك.»

وعندما جلست جين بجانبه في السيارة بعد قليل، فكرت فيما قاله عن هذا المشهد الذي لاينسى بأنه كان مجرد تسلية! وشعرت باستياء عميق لدرجة أنها وجدت نفسها تبحث عن بعض الوسائل للانتقام، كانت الطريقة التي تستطيع تحقيق هذا الانتقام غامضة الى أقصى حد، ولكنها اتخذت شكلاً محسوساً أكثر عندما التقت في الأسبوع التالي بالشاب الوسيم هال شارلتون في نادي اليخوت، كانت مناسبة اللقاء حفلاً راقصاً أقامه النادي، و جين تلقت دعوة عن طريق ديفيد الذي حضر هو وزوجته سوزان كثيراً من مثل هذه الحفلات، كانت جين تبدو في أبهى صورة، وقد ارتدت ثوبا أبيض طويلاً مزينا بحبات تلمع في الضوء الناعم الخافت، وتعرفت على هال بعد وصولها بقليل، فقالت سوزان وهي تقدمها له:

قلت لك انك ستقابلين شباناً ممتازين في النادي.»

ثم مضت تقول مداعبة انه يجب أن تحرص جين على ألاّ تقع في الحب لأنها متزوجة!

حسناً... انها لن تقع في الحب... هكذا فكرت جين، ولكن هال كان جذاباً بالتأكيد، وقد سرّها أن تعرف أنه مهتم بها يبدو وكأنه لايستطيع أن يرفع عينيه عنها فور أن تعرف عليها، وعندما تمتم أهلاً وسهلاً كان رده يبدو آلياً.

ولم يلبث أن طلب منها مراقصته، وقد استمتعت جين تماماً بكل رقصة،

www.elromancia.com

فقد كانت خطواته وخطواتها في انسجام تام، وحاولت ألا تفكر في سكوت وألما اللذين كانا حاضرين أيضاً، ويرقصان سوياً معظم الوقت، ولكنها كانت تجدهما أمام عينيها في بعض الأحيان، وعندئذ تغمرها موجة من الكآبة.

«لا بد أن نتناول العشاء سوياً.»

هكذا قال هال عندما جلس هو وجين يتناولان المرطبات. وأضاف:

«انني سعيد جداً بلقائك.»

كانت حماسته وتلقائيته تثيران الانتعاش بعد السخرية والتهكم اللذين كان سكوت يبديهما كلما التقى بها، ووجدت جين نفسها توافق على الخروج مع هال ، وحدد لها موعداً قبل نهاية السهرة بفترة طويلة.

وتقدم سكوت ودعاها للرقص واندست بين ذراعيه وابتعد بها الى وسط القاعة، كان يبدو غاضباً، وكأنه يعبس في داخله، ترى هل تلاعبت به ألما؟ انه يستحق هذا لو كانت قد فعلت. وسألها سكوت أخيراً:

«هل تستمتعين بوقتك؟»

«جداً...»

ثم أضافت بشيء من السخرية:

«أظن أنك أيضاً تستمتع بوقتك.»

ومن الغريب أنه لم يرد، وبدا مشغولاً. كان واضحاً أن شيئاً ما قد حدث، شيئاً سبب له ضيقاً كبيراً.

«أشكرك.»

قال هذا بجفاف عندما توقفت الموسيقى واستدار وتركها. كان هال بجانبه بعد لحظات، ولم تستطع جين التأكد مما اذا كان سكوت قد التفت بسرعة عندما قال الشاب:

«أريد أن أرقص معك بقية الرقصات كلها ياجين.»

وهذا ما حدث، ولكنه سأل جين بعد ذلك اذا كانت ترغب في الخروج الى

الهواء الطلق، وعندما وافقت خرجا وسارا في الحدائق وعبرا المنطقة الفسيحة الخاصة بالنادي أثناء المساء كان هال قد وجّه اليها أسئلة عن زوجها، وقد اضطرت لقول بعض الكذبات المتعمدة، بل وكذبات بيضاء أكثر، ألم تكن تبالي بحضور حفل كهذا بدون زوجها؟

وجه اليها هذا السؤال في البداية، عندما كانا يرقصان سوياً لأول مرة.

«لا... لاأبالي... ان لديه عملاً ولا نستطيع أن نفعل شيئاً لهذا الشأن.»

ونظر هال اليها في دهشة:

«ألا تشعرين أن من واجبك البقاء معه؟»

ومن الطريقة التي تكلم بها خمنت جين أنه كان يعلم أنها هي و ليس لم يتزوجا منذ فترة طويلة.

«ان كلاً منا يحتاج الى فسحة، ان ليس يخرج وحده عندما يكون لدي عمل.»

ولم يكن هذا صحيحاً لأن جين لم تكن تعمل في الفندق منذ أن أصبحت سكرتيرة سكوت!

«أوه... حسناً... دعينا ننسى زوجك ونستمتع بالأمسية.»

والآن عندما كنا يقفان بجوار السور اقترب منها قليلاً ووضع ذراعاً حول كتفيها. كانت على وشك أن تخطو بعيداً عندما لمحت سكوت وألما يأتيان نحو المكان الذي تقف فيه مع هال، وبدلاً من أن ترفض هال رفعت وجهها الى علا باغراء، وكما توقعت عانقها.

رمر سكوت وألما على بعد أقدام قليلة منهما. وكان من المستحيل أن يفوتهما المشهد العاطفي القصير.

وفكرت جين... ان هذا سوف يضع سكوت في مكانه الحقيقي. بحيث يكون رئيسها فقط ولا شيء أكثر من هذا.

على أنها لم تكن مستعدة لما قاله لها في صباح اليوم التالي عندما وصلت الى منزل دريفتوود في السيارة الصغيرة، التي لم يتردد سكوت في أن ينصحها

www.elromancia.com

بشرائها، ورأته واقفاً في الشرفة وهي توقف السيارة في نهاية الشارع الطويل، كان يحملق ساهماً في الملعب الى بقعة مثيرة تنمو فيها الأزهار الرائعة تحت الأشجار الباسقة، وزكية الرائحة.

ولكنه أدار رأسه ببطء عندما شاهد السيارة تتوقف، ووجهت اليه جين ابتسامة، وألقت تحية صباح مشرقة ولكنها لم تتلق أكثر من ايماءة صغيرة رداً على هذا.

وللحظة كتمت فيها أنفاسها وقفت أسفل سلم الشرفة وهي تنظر اليه. وتأثرت بسحره، وحتى النفور الذي بدا عليه كان قوة هائلة زادت من اشتياقها اليه.

«أريد أن أتحدث معك.»

قال هذا بنبرة ناعمة جداً أثارت أعصابها، وصعدت السلم ببطء ثم سألت:

«هل تريد أن تحدثني؟»

كانت تعرف بغريزتها أنه على وشك أن يشير الى الليلة الماضية مما جعل لون وجهها يتغير... وضاقت العينان الزرقاوان الفولاذيتان بفهم عميق وتركيز نفاذ، كم كان مسيطراً متسلطاً وهو يقف هناك مثل قاض.

«في الليلة الماضية... ما الداعي لهذا النوع من العرض؟ وكيف سمحت لشخص غريب تماماً عنك بأن يطارحك الغرام؟»

قال هذا بنبرات هادئة على نحو خطير... وصاحت:

«لم يكن يطارحني الغرام.»

«كان التصرف يثير الاشمئزاز بما فيه الكفاية، لو عرف الناس أنك غير متزوجة ولكن المفروض أنك متزوجة.»

كان الاتهام يكمن في صوته وفي النظرة الباردة القاتمة التي وجهها اليها، واستمر يقول:

«انني لا أسمح بأي نوع من الفضيحة ينسب الى الموظفين عندي... واذا تصرفت بهذه الطريقة المبتذلة ثانية فانني لن أتردد في الاستغناء عن خدماتك وخدمات

أخيك!»

وحبست أنفاسها وشعرت باستياء شديد، ورغم ذلك لم تكن تشعر بالخجل أو الخوف من أنها عاجزة عن الرد... فقالت:

«لم أتصرف بطريقة مبتذلة. ولم يرنا أي شخص...»

وقاطعها ببرود قائلاً:

«أنا رأيتكما، كذلك ألما... اذا لم تتخذي الحيطة فانك ستجدين اسمك منتشراً بين شبان باربادوس الذين يأملون في إقامة علاقات غرامية.»

واشتد غضبها وصاحت:

«أوه... ما هذا الذي تقوله!»

«هذه جزيرة...»

هكذا ذكّرها باقتضاب وعيناه ترمقانها بنظرة احتقار طعنتها بقدر ما أثارت غضبها، ثم قال:

«ان القيل والقال ينتشر بسرعة.»

وردت بصوت مرتعش:

«لن يقول أحد شيئاً عني.»

«أخشى أن تكون الأقاويل قد بدأت بالفعل.»

«لا أصدقك.»

وذكّرها ببرود قائلاً:

«لقد عشت على الجزر فترة أطول منك، وأعرف ماذا يحدث عندما تتورط امرأة - وخاصة اذا كانت متزوجة - في مغازلات مع رجال مثل هال شارلتون.»

«هل سمعته رديئة؟»

هكذا سألته وهي تحيد عن الموضوع الرئيسي:

ورد باختصار ولهجة مؤكدة.

«نعم له سمعة رديئة.»

www.elromancia.com

كان شعورها بالتعاسة أكثر من الخجل. وأحست بقدر قليل من الرضى عندما علمت أن هال له سمعة سيئة لأنها الآن تستطيع استغلاله بدون أن يكون هناك أي خطر من شعوره بالألم.

تستطيع استغلاله كما قررت... لا بد أن يوضع سكوت كنغزلي في مكانه كرئيس لها في العمل... ولن يتمادى في مسألة اقامة علاقة غرامية معها عندما يظهر رجل آخر في الصورة.

وقالت بعد صمت شابه التأمل:

«أعرف تماماً أنك تستطيع فصلي، ولكنني لا أصدق أنك ستفصل أخي أيضاً، ان مثل هذا التصرف لن يكون عادلاً طالما أنه لم يفعل شيئاً يستحق عليه الفصل كما أنني...»

وسكتت جين ورمقته بنظرة جانبية، ثم أضافت:

«متأكدة تماماً من أنك لن تتصرف إطلاقاً على هذا النحو غير العادل...»

ومست شفتيه ابتسامة باهتة لا مرح فيها وقال:

«انك اذن لا تعرفينني جيداً.»

وفحصت تعبير وجهه واقتنعت بأنها تغلبت عليه، كانت تستطيع أن تذكره بأنه مدح ليس في أكثر من مناسبة، وتذكره بقوله ان ليس سيكون دعامة للشركة. ولكن تحذيراً داخلياً دفعها لأن تتوقف لحظة وتفكر في رد الفعل المحتمل. وقررت أن السكوت هو أفضل سياسة، طالما أن اثارة غضبه كان آخر شيء تريده، ولذلك اكتفت بالقول:

«لقد ذكرت مرة أنه من الحكمة الاحتفاظ بالموظف الجيد.»

وبرقت العينان الزرقاوان وسأل سكوت بنبرة ناعمة جداً:

«ما الذي تحاولين عمله بالضبط ياجين؟»

«لا أعرف ماذا تقصد.»

«لست غبية!»

ثم أضاف:

«لن تفيدك أية ضربة مضادة يمكن أن تعدّها، اما أن تتصرفي بطريقة لائقة واما أن تتحملي العواقب.»

وبدا الآن رئيس العمل الصارم الذي لايلين، لم يتردد في التأكيد بأنها تدرك تماماً سيطرته عليها.

«ان حياتي الخاصة لا شأن لها بوضعي كموظفة عندك.»

رفضت الاستسلام بعد قرارها أن الطريقة الوحيدة للانتصار على سكوت في اللعبة التي يلعبها هي أن تتركه يعتقد أنها وجدت لنفسها شاباً، وقررت أن تضيف قائلة:

«انني... أستلطف هال جداً.»

وكرر عبارتها بعنف.

«تستلطفينه؟ هل تقولين انك تنجذبين الى شخص عابث مثله؟»

وقامت بمغامرة جريئة عندما قالت:

«يبدو أنك تنسى ياسكوت أنك شخصياً يمكن وضعك في قائمة العابثين.»

وزم شفتيه وسمعته يصر بأسنانه، وقال محذراً وغضبه يغلي تحت السطح:

«كوني حذرة جداً... لا أزال رئيسك في العمل.»

وأحنت جين رأسها، لم يكن هناك فائدة من محاولة الجدال مع شخص يستطيع الفوز عليها في كل مرة، كان أمراً لا يصدق أنها انتهجت سلوكاً متعالياً معه في يوم من الأيام.

«هل تصر على ألاّ أرى هال ثانية؟»

«انك معرضة لرؤيته ثانية، فهو يحضر كل حفلات نادي اليخت، ومن البديهي أنك ستحضرين كثيراً منها أيضا، انني أطلب منك فقط التصرف بطريقة مهذبة وأن تتذكري أنك متزوجة!»

ونظرت اليه بدهشة وقالت:

«أتذكر أنني متزوجة... انك يحاول في الواقع أن تقيدني، أن تمنعني من أن أجد لنفسي شاباً.»

وذكرها بعنف قائلاً:

«أنت نفسك التي اخترت القيام بدور المرأة المتزوجة، وأنا أريد أن تتذكري هذا.»

كان غضبه مكتوباً بوضوح في تعبير وجهه. وأدركت جين بغريزتها أن الاستمرار في هذا النقاش سوف يسفر فقط عن احراجها. فقد كان سكوت مصمماً بلا شك أن تكون له الكلمة الأخيرة.

«تذكري ما قلته لك، واذا سمعت أنك شوهدت مع شارلتون ستحدث متاعب!»

وبرقت عيناها للحظة قصيرة عندما قفز رد الى شفتيها ولكنها عدلت عن الكلام وبدون أن تنطق بحرف واحد هبطت سلم الشرفة واتجهت الى سيارتها.

وفي يوم الأحد التالي ذهبت الى باتشيبا لتزور سوزان وديفيد، وكان أول شيء أشارت اليه سوزان هو الحفل الراقص في نادي اليخت.

«كنت تستمتعين بوقتك بالتأكيد، لقد قال هال شارلتون لديفيد أنه يريد مقابلتك ثانية.»

وابتسمت سوزان، وأخذت تلوي أطراف شعرها كعادتها وأضافت:

«انا متأكدان من أنه سيطاردك رغم أنه يعرف أنك متزوجة!»

واحمر وجه جين، لم تكن واثقة من أنها الآن تريد شد انتباه هال.

«أعتقد أن له سمعة سيئة.»

وأومأت سوزان ولكنها مضت تقول:

«أي رجل ليست له سمعة سيئة هذه الأيام؟»

وأكمل زوجها قائلاً:

«أو امرأة!»

ونظرت سوزان بفضول الى صديقتها وقالت:

«ان هال ليس أسوأ من أي رجل آخر... هل تستلطفينه؟»

«لا بأس به.»

قالت ذلك بتحفظ وبلهجة توحي بأنهاء الموضوع، ولكن كان واضحاً أن سوزان لم تنتبه الى هذا فمضت تقول:

«يمكن لكثير من الفتيات أن يسعدن بالاهتمام الذي وجهه لك هال في تلك الليلة.»

وأعقب هذا وقفة صغيرة. ثم قالت:

«اننا نعتقد ياجين أن الوقت سيحين عندما تقررين أنت وليس أن تكونا صريحين وتكشفا عن الخدعة.»

وطرفت عينا جين عندما واجهت نظرة صديقتها، وبادرتها بقولها:

«وأنت وديفيد، ألا تشعران بالقلق من دوركما في الخدعة؟»

«كنا نشعر، ولكننا نعتقد الآن أن السيد كنغزلي سوف يسامحنا، لقد أجرينا تحسينات كثيرة جداً هنا حتى أنه في كل مرة يأتي الى هنا لا يسعه إلا الاشارة بما أنجزناه. يبدو أن الشركة كانت مهملة على نحو محزن قبل أن يشتريها، لقد عين السيد سيندر الذي يعتبر رجلاً ممتازاً في اختبار هؤلاء الذين يحبون إدارة الفنادق ولذلك قرر تعيينا وتعيينكما.»

«هل يأتي السيد كنغزلي الى هنا كثيراً؟»

«نعم... وهو يتكلم عن نيته في التوسع ويفكر في إقامة شاليهات خاصة للعائلات فوق هذه الأرض الفضاء، ستكون رائعة وهي محاطة بكل هذه الأشجار، والشاطىء لا يبعد عنها إلا لحظات!»

«نعم... وعندئذ سيزداد عملكما ومسؤوليتكما.»

وأومأ ديفيد برأسه ولكنه بدا سعيداً جداً بالفكرة، وقال بصوت فيه لمحة واضحة من الفخر:

«سندير واحداً من أكبر الفنادق على الجزيرة، وسوف نتوسع في تعيين الموظفين

www.elromancia.com

بالطبع.»

«لا بد أن السيد كنغزلي يقدركما تقديراً كبيراً.»

هكذا تمتمت جين مشيرة الى ما قالته سوزان لتوهما عن احتمال أن يسامحها سكوت لاشتراكها في الخديعة التي سببت متاعب كثيرة. كما تنبأت جين في أول الأمر لنفسها أساساً، ولكنها الآن تشك في أنها تسبب متاعب كثيرة لأخيها ليس أيضاً، لأنها راقبته عن كثب مع جوين، ولحظت أكثر من مرة تقطيبة سريعة كلما طرأت فكرة رحيل الفتاة.

«انه رجل يقدر الجهود وهو طيب جداً.»

وبدت الدهشة على وجه جين وقالت مرددة:

«طيب!»

«طبعاً طيب... لا بد أنك لحظت طيبته فأنت تعملين قريباً جداً منه. كان ديفيد يقول أنك لابد أن حصلت لنفسك على وظيفة من أكثر الوظائف الجذابة على الجزيرة! لقد قلت أنت نفسك انه يعطيك أجازات كثيرة. وقد صحبك بنفسه الى الفندق مرة عندما أخبرته أنك لم تنامي الليل.»

«انه يعطيني أجازات حتى يستطيع الذهاب الى سان فانسانت حيث كان يقيم.»

هكذا أخبرتها جين بنبرة بدا فيها الجفاف فجأة فقد كان واضحا تماماً أن عجرفة سكوت وسلوكه الشنيع تطبق عليها فقط.

وقالت سوزان وهي تلوي أطراف شعرها ساهمة:

«لا يزال عنده منزل هناك ولكنه يعرضه للبيع. انه يذهب الى هناك لأن صديقته هناك. لا بد أنك قابلة الانسة بونسول.»

وقالت جين مترددة:

«نعم قابلتها، يبدو أنك قابلتها أيضاً.»

«هذا صحيح... انه يحضر معها هنا أحياناً لتناول العشاء.»

«هل تعجبك!»

وتجنبت جين عيني سوزان وهي توجه السؤال خشية أن يكشف تعبير وجهها عن مشاعرها نحو سكوت.

وقال ديفيد وهو يضحك:

«نعتقد أنها جميلة ولكننا لسنا متأكدين اطلاقاً أنها الفتاة المناسبة للسيد كنغزلي، نعتقد أنه بحاجة الى فتاة أكثر نعومة لأنه هو نفسه ناعم!»

وهزت جين رأسها غير مصدقة وقال:

« لا أستطيع اطلاقاً أن أعتبر السيد كنغزلي ناعماً!»

وقالت سوزان مصححة وهي تنظر الى زوجها:

«ليس ناعماً بالضبط انه ودود... ولطيف.»

ودود... ولطيف... وطيب... الكلمات التي قالتها سوزان كررت نفسها مرة تلو المرة في ذهنها، بينما تدخلت صورة سكوت التي تعرفه لتكذب أي شيء له صلة ولو بعيدة بالود واللطف والطيبة!

كان الجانب الذي أظهره لجين صلفاً قاسياً، وسلوكه دائماً سلوك صاحب العمل، ولم يكن طيبا بالتأكيد، بالعكس كان متعالياً متسلطا يبحث عن أخطاء في عملها وينتقد سلوكها حتى وهي لا تعمل.

وتكلمت جين أخيراً مدركة أنهما يتوقعان تعليقاً منها وقالت:

«انكما تدهشانني عندما تقولان إنه لطيف، انني لم ألحظ ذلك.»

«ألا تستلطفين السيد كنغزلي!»

«لا أبالي به.»

وأعقب ذلك صمت طويل، وتبادل ديفيد وسوزان النظرات أكثر من مرة، وعندما تكلم ديفيد أخيراً غيّر الموضوع فعاد الى ألما وهل هي مناسبة أم لا للسيد كنغزلي، ومضى يقول:

«لا شك أنها تعتبر دعامة من الناحية الاجتماعية، ولكن لا يبدو أنهما متناسبان تماماً.»

وتساءلت جين، ترى ماذا سيقولان لو أنها ذكرت أن ألما لها صديق آخر. صديق لايعترض عليه سكوت إطلاقاً... وقالت سوزان:

«لا أعتقد أن السيد كنغزلي يفكر في الزواج منها، انه لايبدو لي من النوع الذي يريد الزواج.»

وقال ديفيد وهو ينظر الى زوجته عابساً:

«معظم الرجال يتزوجون في النهاية... ان السيد كنغزلي سوف يسلك طريقنا نفسه.»

وردت قائلة:

«أنت الذي قمت بالمطاردة، لقد قلت لك عدة مرات إنني مصممة على أن أبقى عانساً وأحتفظ باستقلالي.»

«ولكنك سعيدة بأنك لم تصبحي عانساً.»

«وكيف تعرف أنني سعيدة.»

«من تعبير السعادة الذي يبدو عليك ياحبيبتي، الواقع أنه لا يوجد وضع يبعث الرضى أكثر من وضع الزواج، اذا أسعدك الحظ ووجدت الرجل المناسب.»

ونظر الى جين وسألها:

«ألا تتفقين معي؟»

«انني واثقة أنك على صواب، أما عن نفسي فلا أوافق ولا أعترض لأنني لست متزوجة ولا يحتمل أن أتزوج.»

وقالت سوزان مؤكدة:

«سوف تتزوجين في يوم ما، انني أراهن على أن شيئاً سيأتي من حكاية هال هذا... اذا أحب كل منكما الآخر فلا بد أن تصارحي السيد كنغزلي وتعترفي له، سوف يتفهم ورغم أنه قد يتضايق منكما إلاّ أنه لن يفصلكما.»

واضطرت جين الى أن تبتسم رغم كآبتها، ما أقل ما يعرف هذان الاثنان! كم يكون أمراً يثير الاهتمام اذا كررت تهديد سكوت مؤخراً بفصلها هي

وليس... لمجرد أن ترى رد فعلها! على أنها قالت فقط انها تعرف أنه لن يأتي شيء جاد من حكاية هال هذه كما سمّتها سوزان، وأضافت:

«انه ليس من طرازي.»

واتسم صوتها بنبرة حسم لحظها واحترمها كل من ديفيد وسوزان، ومع ذلك كان لا بد من قطع الحديث بسبب الظهور غير المتوقع لسكوت نفسه. كانت جين أول من رأى سيارته البيضاء تنساب على الطريق الواسع الذي تظلله أشجار النخيل، والذي يؤدي الى مدخل الفندق، ولسبب غير محدد شعرت بضيق عجيب من فكرة أن تكون في صحبة سكوت وصحبة ديفيد وسوزان في الوقت نفسه.

«ها هو ذا السيد كنغزلي، يالها من مفاجأة لطيفة!»

وكان السرور واضحاً في صوت سوزان.

«ترى ما الذي يريده؟»

قال ديفيد هذا وهو ينهض واقفاً عندما توقفت السيارة تحت شجرة، وأخرج سكوت جسمه الطويل من مقعد القيادة، وقف ثانية يحملق في جين ثم أغلق باب السيارة.

«مساء الخير.»

كانت تحيته تشمل الجميع وردوا عليه، ثم أضاف بدون مقدمات:

«أود التحدث معك على انفراد ياسيد شور، حول موضوع التوسع المقترح.»

«بالطبع ياسيد كنغزلي، نستطيع التحدث في غرفة مكتبي.»

وأعلنت سوزان وهي عابسة:

«سوف يظلان هناك حتى موعد تناول الشاي، لقد قال السيد كنغزلي أنه قد يتغيب في عطلة نهاية الأسبوع، لا بد أنه غيّر رأيه.»

«تصوري أنه يعمل يوم السبت.»

قالت جين ذلك وهي تفكر وتتابع بعينيها الرجلين وهما يدخلان الفندق.

«يبدو أنه يعمل جاهداً، ربما لأنه أعزب وليس لديه عمل آخر. لقد اشترى ذلك المنزل الجميل، ولكنني لا أعتقد أنه يتمتع بحياة منزلية. ان الرجال غير المتزوجين لايفكرون في حياة منزلية. والسيد كنغزلي يذكرني دائماً برجل لا بد أن يتزوج فتكون له زوجة تهتم به وبأطفاله وبيته... بذلك الترتيب.»

وأعقبت ذلك بضحكة صغيرة، وكانت نظرة سوزان مركزة على حدائق الفندق والشاطىء تحتها، ولذلك فاتها تعبير وجه جين الحزين الذي عكس الندم العميق الذي عاد وغلّفها مرة أخرى!

٨ ـ الماضي هل يعود؟

الساعة الرابعة والنصف خرج الرجلان من الفندق لينضما الى الفتاتين على العشب، وكانت جين لاتزال ترتدي الشورت الأبيض الذي استعارته من سوزان والذي كشف عن ساقيها الجميلين السمراوين، وحامت نظرة سكوت حولها قبل أن تستقر على وجهها. كانت تجلس مسترخية على كرسي في الحديقة بعد لعب التنس، وهي تشعر بسخونة، وتعرف أن شعرها غير منسق، وطارت أفكارها الى ألما التي تبدو في أبهى صورة دائماً، وفكرت جين أن سكوت لا بد أن يعقد مقارنة بينهما، ولكن عندما لحظت عدم الاهتمام الذي حل محل الاهتمام البسيط الذي أبداه منذ ثوان قليلة اعتقدت أنه لا يهتم على نحو يكفي لعقد المقارنة.

وقال مخاطباً سوزان أكثر من جين:

«هل لعبت جيداً؟»

وأومأت برأسها وابتسمت وهي تقول:

«جداً ياسيد كنغزلي، أشكرك... ان جين تلعب بمهارة فائقة.»

«صحيح!»

ومرة أخرى لاحت هذه النظرة الحائمة واستطرد:

«اذن لابد أن ألعب معها.»

www.elromancia.com

وصاحت جين رغماً عنها:

«أوه... كلا... لا أريد أن ألعب معك.»

ورد وهو يرفع حاجبيه:

«لم لا؟ انني لاعب بمهارة متوسطة، أؤكد لك.»

كانت واثقة من أنه يكذب، وقالت بدون تفكير:

«أعتقد أنك ستشعر بالملل من اللعب معي.»

«من اللعب؟»

قال ذلك بنبرة رقيقة وظل ابتسامة يلوح على شفتيه، وبدا عليه أنه نسي الشخصين الآخرين الموجودين اذ أضاف:

«أؤكد لك ياعزيزتي جين أن اللعب معك سوف يمدني بسعادة بالغة.»

وتبادل ديفيد وسوزان نظرات سريعة، واحمر وجه جين ورمقت مخدومها بنظرة غاضبة، وشعرت بارتياح كبير عندما لطف ديفيد الجو وقال انه يتعين على السيد كنغزلي أن يثبت ذلك. كانت محاولة ضعيفة ولكن جين شعرت بالامتنان نحو ديفيد لذلك، كان تصرفاً سيئاً من سكوت أن يخاطبها باسمها الأول بدون نبراته الرقيقة، وتركيزه الطفيف، ولكن المؤكد على الكلمتين الأخيرتين.

«نستطيع أن نلعب كلنا سوياً.»

هكذا قالت سوزان، ولكن سكوت تجاهل ذلك، وأدركت جين فجأة أن صمته قد وضع سوزان في مكانها كموظفة عنده!

وسأله ديفيد:

«هل ستبقى لتناول الشاي؟»

هز سكوت رأسه وقال:

«يجب أن أذهب، سأراك ثانية في بداية الأسبوع لتقرر البدء في الاضافات. يمكن بناء الشاليهات بدون أي تدخل في إدارة الفندق، وسنترك تعديلات المبنى الرئيسي

حتى نهاية الموسم.»

وأومأ ديفيد برأسه، كان واضحاً أنه سعيد جداً بالتحسينات السريعة التي ستجرى. قال:

«أعتقد أن بناء شاليهات فكرة رائعة، فتستطيع العائلات أن تتمتع بحرية كاملة، وتتمتع في الوقت نفسه بكل تسهيلات الفندق، وبينها المطعم.»

وأومأ سكوت بطريقة آلية، فقد كان اهتمامه كله موجهاً الآن الى جين، وأخيراً قال وكأنه وصل الى قرار مفاجيء:

«تستطيعين أن تأتي معي ياجين، فلدي أشياء أريد مناقشتها معك أيضاً.»

«أنا؟»

قالت ذلك وهي تدرك تماماً دهشة صديقتها من هذا الطلب غير المتوقع.طلب؟ كان أمراً كما اتضح ذلك من تعبير عيني سكوت وأضافت:

«سيارتي هنا.»

«يمكن تركها، سوف أرسل شخصاً في الصباح ليأتي بها الى كورال غيبلز»

ولم تبد جين أية حركة فورية فقال بحدة:

«يمكنك أن تذهبي الآن وتغيري ثيابك.»

ونهضت في الحال وهي تتذكر شعورها بالضيق عند وصول سكوت، لابد أنها عرفت بدون أن تدري أنه سيقول شيئاً يثير حرجها.

وعندما عادت كان سكوت وديفيد يقفان الى جانب سيارة سكوت، بينما سارت سوزان ببطء نحو جين، وقابلتها بجوار حوض رائع من النباتات الاستوائية:

«ألم يكن السيد كنغزلي غريباً؟»

- هكذا قالت سوزان بشيء من التردد، فقد لحظت أن هناك شيئاً غير عادي في العلاقة الموجودة بين جين ومخدومها.

«تصوري أنه يريدك اليوم، يوم الأحد! من المؤكد أنه لا يتوقع منك أن تذهبي

وتؤدي بعض الأعمال.»

كان واضحاً أن سوزان تستفسر، ولكن جين سامحتها متفهمة تماماً مدى فضولها، وأجابت جين بصراحة:

«ليست لدي أية فكرة عن السبب الذي يريدني من أجله.»

ومضت سوزان تقول:

«كيف يطلب منك أن تتركي سيارتك هكذا؟ وكيف ستذهبين الى منزل دريفتوود في الصباح؟»

«أستطيع أن آخذ السيارة التابعة للفندق.»

«نعم... تستطيعين.»

«جين!»

كان النداء مفاجئا أمراً:

«انني في انتظارك.»

ووجدت جين نفسها تجري نحو السيارة وبادرته قائلة:

«أسفة...»

ولكن سكوت قاطعها قائلاً:

«لا أتوقع من الموظفين عندي أن يجعلوني أنتظر، ادخلي السيارة.»

كان صوته الآن متعالياً، وعيناه صلبتين مثل الفولاذ، ولكن سلوكه تغير بينما التفت الى ديفيد مرة أخرى وقال:

«كان أصيلاً ممتعاً تماماً.»

وابتسم الى سوزان التي وصلت لتوها وقال:

«الى اللقاء ياسيدة شور.»

وبايماءة الى ديفيد جلس في مقعد القيادة، وبعد ثوان كانت السيارة تنطلق متجهة الى الطريق، وبعد فترة قالت جين وهي ترتعد:

«ان سلوكك معي أثار دهشة سوزان وديفيد.»

«لماذا يدهشان؟»

«حسناً... يدهشان من سبب معاملتك لي بمثل هذه الحدة.»

وبدون أن تشعر جعلت جين صوتها مسموعاً، والتفت سكوت بسرعة ونظر اليها. وظل متردداً لحظة طويلة، ثم قال بالطريقة المفاجئة نفسها:

«لقد جعلتني أنتظر، وكان لي كل الحق في أن أكون حاداً معك... عندما أصدر أمراً الى أحد الموظفين عندي أتوقع أن ينفذه في الحال، انك لم تستغرقي وقتاً طويلاً في تغيير ملابسك فقط ولكنك وقفت أيضاً لتثرثري مع صديقتك، وأنت تعرفين جيداً أنني أنتظر.»

«لم أفكر... في أية حال انه يوم الأحد وكنت في زيارة ودية لأصدقائي.»

«انني أحتاج الى خدماتك، تستطيعين اخذ أجازة ساعة أو ساعتين في يوم آخر.»

وقالت جين بهدوء:

«هل تريد أن أعمل شيئاً لك؟»

«بالطبع.»

وتمتمت بعد وقفة صغيرة:

«ولكننا لن نذهب الى منزلك.»

ومرة أخرى لفت رأسه ونظر الى جانب وجهها وقال:

«وما الذي يجعلك تقولين هذا؟»

«ان هذا ليس الاتجاه الصحيح.»

وابتسم ابتسامة صغيرة غريبة، وقال في لهجة تثير الغيظ:

«انك لاتخشين أن آخذك الى مكان منعزل بنية... أن أفرض عليك اهتماماتي.»

واحمر وجه جين وسألت:

«هل ستقوم بعمل أم لا؟»

وقال محذراً برقة:

«احترسي ياجين، لا أريد وقاحة، انك تنسين دائماً أنني مخدومك!»

وردت قائلة:

«يندر أن أنسى هذا عندما تأتي وتأمرني بترك أصدقائي وأصحبك الى... لا أعرف أين.»

«آمرك؟»

وفكر في هذا لحظة:

«كنت أتصور أنك لاتتزعجين على الاطلاق، فأنت واحدة من النسوة اللواتي يستمتعن بالأوامر عندما توجه اليهن.»

«لست كذلك بالتأكيد.»

ورفع أحد حاجبيه وقال:

«ولكنك جعلتني أعتقد أنك كذلك.»

«أنا؟ متى؟»

«منذ مدة طويلة جداً ياعزيزتي، من المؤكد أنك لم تتغيري، انك لاتزالين تريدين الزواج من طاغية عندما يحين الوقت لتتزوجي.»

«لم أقل أبداً انني أريد زوجاً طاغية!»

«لم تقولي هذا بالضبط.. ولكنك قصدت ذلك، تريدين سيداً طاغياً بيد من حديد!»

وقاطعته في غضب:

«لم أكن أريد ذلك النوع من الرجال، كنت فقط أريد شخصاً لايخضع لي دائماً.»

وبعد صمت قليل وكأنه كان يتذكر شيئاً قال:

«أعتقد أن قلة من الرجال يفعلون هذا، انه لايكون رجلاً اذا فعل.»

وأطلقت جين تنهيدة صغيرة وسألته الى أين يذهبان، فقال ساخراً:

«انك تغيرين الموضوع أليس كذلك؟ ياجين ياجانة! الى أين نذهب؟ انني آخذك لتتناول الشاي، هل يزعجك هذا؟»

وشهقت قائلة وقلبها يخفق على نحو ممتع:

«نتناول الشاي؟»

«هل هناك حاجة الى إظهار مثل هذه الدهشة؟ اننا ذاهبان فقط الى قلعة سام لورد وليس الى القمر.»

«الى قلعة سام لورد؟»

«هل تريدين الذهاب الى مكان آخر؟»

«لم أفكر في الذهاب الى أي مكان، قلت انك ستكلفني ببعض العمل لك.»

«لا أذكر أنني قلت شيئاً مثل هذا، قلت انني أريد مناقشتك في بعض الأشياء.»

«حسبت أنها تتعلق بعمل.»

وتجاهل سكوت هذا وسأل ثانية اذا كانت تريد الذهاب الى مكان آخر لتتناول الشاي فقالت شاكرة:

«كلا، قلعة سام لورد ستكون مكاناً لطيفا جداً.»

وقال لنفسه... لا يوجد أي نقاش اذن!

وعرفت بغريزتها أنه كان يتذكر الوقت الذي تعمدت فيه أن تسيطر عليه، وأنه يأمل بأن تقوم بمحاولة مماثلة الآن، وعندئذ كان سيقول لها فوراً انها ستذهب الى المكان الذي اختاره هو، حسناً فكرت برضى كبير، انها لم تعطه الفرصة لممارسة سيطرته عليها، كانا يتجهان نحو الشمال الشرقي وعلى يمينها ظهر الارتفاع الهائل لصخرة هاكلتون، بينما على اليسار امتد الساحل نحو صفحة البحر الأزرق، والأفق الذي اندمج فيه، ومن كنيسة سان جون دخلا كنيسة سان فيليب، وما لبثا أن اتجها نحو المنزل الملكي المحصن، الذي يقع على الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة، حيث كان هدير الأمواج المستمر، يقدم موسيقى خلفية للجو شبه المسرحي للمنزل الرائع الرائي، الذي يحتل مكاناً هاماً في تاريخ الجزيرة باعتبار أنه كان في وقت من الأوقات الحصن الحصين للقرصان الشهير سام لورد، الذي كان مع عصابة من القتلة والمجرمين يسرقون البواخر، ويقتلون ملاحيها، بعد أن يستدرجوهم الى الصخور بمصابيح معلقة في الأشجار، تلك

المصابيح التي بدت وهي تتأرجح في النسيم أشبه بأنوار فوق سفن راسية في أمان!

كان سكوت معروفاً في القلعة التي أصبحت الآن فندقاً حديثاً فاخراً، وسار مع جين الى مائدة في ركن منعزل تطل على منظر الحدائق الرائعة، والمنطقة المليئة بالأحراش تحتها.

«لم تعربي عن دهشة كبيرة من طلبي أن تتناولي معي الشاي.»

كان سكوت في حالة مزاجية جذابة، واتكأ الى الوراء في مقعده ونظر اليها بإعجاب ولمحة سرور في عينيه.

«طلب؟»

كررت هذه الكلمة بعذوبة وهي تسمح بلمحة من المرح تدخل عينيها وضحك.

«ترى ماذا تريدنني أن أسمي ذلك؟»

«أعترف بأنه كان أمراً.»

وأحنى رأسه ثم قال:

«وهو كذلك... كان أمراً.»

«وما هو سببه؟»

كانت جين سعيدة بأنها تتحدث بهذه الطريقة المرحة مع سكوت...

«كنت أريد صحبتك.»

وتذكرت جين ماقالته سوزان بأنه ليست لديه حياة منزلية بمعنى الكلمة، لقد قالت سوزان مؤكدة انه يجب أن تكون له زوجة... زوجة تهتم أساساً به وبأطفاله وبيته.

وتساءلت جين.. ترى هل كان وحيداً؟ وعندما خطرت لها هذه الفكرة عبر ظل على وجهها الجميل، ومضت تذكر نفسها بأن هذه الحياة هي التي اختارها، وكان يمكن أن يتزوج منذ مدة طويلة لو أراد، وقالت أخيراً بشيء من الخجل.

«صحبتي؟»

«نعم ياجين صحبتك.»

وابتلعت الغصة الصغيرة التي سدت حلقها، رغم سعادتها الآن كانت لاتزال تشعر بالندم لما فقدته، لا... لم تفقده... وانما ألقت به بعيداً عن عمد وبدون أن تتوقف حتى لتفكر أنه سيحين اليوم الذي تستيقظ فيه فجأة، وتدرك أنها مستعدة لأن تعطي أي شيء لتسترد مانبذته باهمال.

«ها هو الساقي.»

تمتمت قائلة وهي لاتستطيع أن تجد ماترد به على اعترافه الذي قاله بهدوء:

«يحسن بنا أن نلقي نظرة على قائمة الطعام.»

كان يحملق فيها بتعبير يختلط فيه الحزن بالبهجة، وعندما فقدت اتزانها ارتسمت على شفتيه ابتسامة فأزالت الحزن وزادت من البهجة:

«أريد فقط شطيرة أو شطيرتين وقدحاً من الشاي.»

«هل هذا هو كل شيء؟»

وقال سكوت:

«يجب أن تأكلي أكثر، فلا بد أنك جائعة بعد لعبة التنس...»

وابتسم الساقي الواقف وكشف عن صف من الأسنان البيضاء القوية - وأضاف سكوت:

شطائر لي...»

ثم قال وهو يمد يده نحو جين:

«ان السيدة تريد شيئاً أكثر... أحضر طبقاً من أشهى أطباق الحلوى.»

وأكلا وشربا الشاي وثرثرا، ثم سارا في المنطقة الجبلية التي كانت تمتد حتى شاطىء من أجمل الشواطىء في الكاريبي.

«يجب أن أعود.»

هكذا قالت جين وهي تتنهد، وبدت عدم رغبتها في الذهاب واضحة في

تعبير وجهها ونبرة صوتها:

«سوف يتساءل ليس أين أنا...»

ترى هل صور لها خيالها هذا، أم أن تقطيبة ظهرت على جبين سكوت؟

«سنعود الى منزل دريفتوود وتتصلين به تليفونياً من هناك، إلاّ اذا فضلت الاتصال به من هنا.»

ونظرت اليه وهي حائرة:

«لماذا نعود الى منزلك؟»

«ليس هناك سبب خاص.»

وذهلت، ولم تجد ماتقوله لدقيقة كاملة، واستمرا يسيران بين الزهور. وأخيراً قالت:

«سوف يتوقع ليس أن أعود لتناول العشاء.»

«لايزال الوقت مبكراً على العشاء.»

ونظر اليها، وطافت عيناه بوجهها وشعرها وجسمها وأضاف:

«الواقع أنك تستطيعين تناول العشاء معي.»

وساد صمت... كانت لحظة متوترة مليئة باهتزازات غريبة. عميقة ولكنها غير محسوسة، وبدأ كل عرق في جسم جين حياً يدرك مدى عمق الوضع، بينما وقفت هي وسكوت ساكنين تماماً بين الجمال الهادىء للحدائق الاستوائية والنسيم العليل القادم من المحيط الأزرق يلفح وجهيهما.

وحاولت جين أن تجعل صوتها مرحاً يتسم بالدعابة، ولكنها تساءلت اذا كانت قد نجحت في اخفاء مشاعرها الثائرة وأعصابها المتوترة عن سكوت:

«هل هذا أمر آخر؟»

«يمكن أن يكون.»

«ربما أقرر أن أعصيه.»

وقال بفضول مفاجيء:

«أتستطيعين؟ كيف؟»

وعندئذ مسّت لمحة من البهجة الساخرة ركني فمه، ودبت الحيوية في العينين الزرقاوين كما كانت جين تراها في الماضي.

«الآن ياعزيزتي جين. من الواضح أنك تريدين تفسيراً... ولا أستطيع أن أقدم لك هذا حتى تكوني في بيتي وتحت رحمتي.»

وصعد الدم الى وجنتيها. لم تعرف الى أي حد بدت جذابة في هذه اللحظة بعينيها الواسعتين مرفوعتين الى وجهه، وأصابعها تتشابك وتنساب في حركة عصبية صغيرة لم تكن تدري بها إطلاقاً. ومرة أخرى حاولت أن تضفي رنة من المرح على صوتها وهي تقول:

«ان تهديداتك لاتخيفني، أستطيع التمسك بموقفي.»

ورفع حاجبيه وتساءل وهو يدّعي الدهشة:

«هل هذا عصيان؟»

أجابت وقد استعارت جملته التي قالها منذ لحظة:

«يمكن أن يكون..»

في تلك الحالة دعينا نذهب الى البيت بدون تأخير!

وعندئذ ضحكت جين، وكانت ضحكة مرحة لم تطلقها منذ فترة طويلة، وتركزت عينا سكوت العميقتان على وجهها، وبدا للحظة مذهلة أنه لايجد كلاماً. وكانت جين هي التي قطعت الصمت بعد قليل وقالت:

«ما الذي ستفعله اذا رفضت أن أصحبك الى البيت؟»

وأجاب بجفاف:

«انك تنسين ياعزيزتي أن لي سلطة عليك.»

«هل تجبرني على اصطحابك الى بيتك؟»

«نعم بدون شك.»

وتوقفت، ولكنها انتظرت حتى يستمر في كلامه.

«لا يبدو أنك خائفة من فكرة إجباري إياك على صحبتي الى بيتي!»

وذكّرته قائلة:

«لقد ذهبت الى هناك مرات كثيرة.»

«بصفتك سكرتيرتي... ولن أصحبك الى بيتي اليوم بصفتك سكرتيرتي.»

وعندئذ نسيت مرحها وقالت وهي تنظر الى وجهه بلمحة من القلق في عينيها:

«هل أنت جاد حقاً في اصطحابي الى بيتك اليوم؟»

«ظننت أنني أوضحت أنني جاد.»

«هل تريدني أن أتعشى معك؟»

«تماماً...»

«ولكنني لا أرتدي ثياباً تناسب العشاء.»

«لن نتعشى في الخارج.»

وبدأت جين تهز رأسها، وتذكرت بقوة الطريقة التي فرض بها عناقه عليها، وأكد أنهما سيجدان متعة مع بعضهما. وبالطريقة التي شعرت بها اليوم لم تكن واثقة اطلاقاً من أنها تستطيع مقاومته بشدة اذا قرر مرة أخرى أخذها بين ذراعيه واغراءها. كانت تشعر بمدى حبها له، وقررت أن الحذر يجب أن يتغلب على عواطفها حتى تقبل دعوته وتقضي المساء معه في منزل دريفتوود، وأخيراً قالت:

«يجب أن أعود الى كورال غيبلز.»

ونظر اليها متسائلاً:

«ظننت أنك قررت تناول العشاء معي في بيتي!»

«لا... يجب أن أعود الى كورال غيبلز.»

هكذا كررت وشاب صوتها نبرة من اليأس.

وهز سكوت رأسه في اصرار، وقد بدا على وجهه تعبير صلف وذكرها قائلاً:

«قلت تواً انني أجبرك على تناول العشاء معي.»

«كنت تمزح بالتأكيد؟»

«لم كن أمزح. ادخلي السيارة ولا داعي لمزيد من النقاش!»

وبدأ يسير ثانية، وسارت بجانبه وعندما وصلا الى حيث أوقف السيارة قالت جين في تردد:

«يجب أن أعود الى بيتي.»

فقال بشيء من الغضب:

«يافتاتي العزيزة، ادخلي السيارة، ولا داعي لمزيد من الجلبة.»

وأطاعت، ولم تستطع الكلام إلاّ وهما في طريقهما وحتى عندئذ لم تزد على القول بشيء من الضعف انه كان يتعين عليها أن تتصل تليفونياً بأخيها. وقال:

«اتصلي به من بيتي.»

وساد الصمت بينهما ثانية، ترى ماذا كان هدفه؟ هكذا تساءلت وهي تنظر اليه نظرة جانبية، وتلحظ جانب وجهه الصارم وشعره البني الجذاب الغزير اللامع، وكأنه مشطه بقوة في تلك اللحظة.

وقال لها أخيراً:

استرخي ، واستمتعي بالرحلة.»

ورمقها بنظرة ورأت ابتسامته المفاجئة، تلك الابتسامة التلقائية التي جعلت قلبها يخفق رغم جهودها في السيطرة على مشاعرها. فقدت نبرة صوته حدتها. تلقت جين انطباعاً أنه قد سمح لشيء من الرقة أن يزحف داخله. وأدركت، ليس للمرة الأولى، أنه لاتزال هناك بقايا من سكوت القديم في شخصيته الحالية، رغم أنه كان يحرص على كبتها.

وقاد السيارة نحو الساحل وشاطىء باتشيبا الوعر، وبدا المنظر أجمل في الساعات المبكرة من المساء.... واستمر على طريق الشاطىء الشرقي ثم الشاطىء الغربي. وأخيرا وصلا الى منزل دريفتوود وأوقف السيارة بهدوء أمام الباب الأمامي، وفتحته بولي قبل أن يستطيع سكوت استعمال مفتاحه، وابتسمت

ابتسامتها العريضة المألوفة، واستمعت بينما قال لها سكوت أنه قد أحضر ضيفة للعشاء. ووعدت قائلة:

«سوف نعد شيئاً خاصاً...»

وانصرفت في اتجاه المطبخ.

٩ ـ انت وانا والبحر

قدم العشاء في غرفة المائدة ذات السقف العالي، حيث زينت الجدران بالرسوم، وكان الأثاث قديماً... وأضاءت الشموع المائدة حيث لمعت الصحون الفضية والشوك والسكاكين والملاعق فوق مفرش مشغول بدقة وروعة. وكانت الوجبة نفسها أشهى ما ذاقته جين في حياتها. وشربا القهوة في الشرفة التي كانت أيضاً مضاءة بالشموع، واستند سكوت الى وسادة، وراقب جين وهي تحتسي شرابها. وقطع الصمت الطويل أخيراً بقوله:

«أرجو أن تكوني قد استمتعت بالطعام.»

«كان رائعاً... شكراً.»

«انني سعيد بأنك وافقت على تناول العشاء هنا.»

«اذا تذكرت... لم يكن لي اي اختيار.»

«ولكنك استمتعت بالاختيار الذي قدم لك.»

«انا سعيدة لأنني حضرت. هذا هو ما تريد سماعه. أليس كذلك؟»

«فقط اذا كان صادقاً.»

«انه صادق.»

ورفعت قدحها الى شفتيها وأحنت رأسها لاخفاء تعبير وجهها.

«يجب أن نكرره.»

www.elromancia.com

وترددت جين قبل أن تتكلم، لا لأنها وجدت أي خطأ في اقتراح سكوت، ولكن لأن ليس لم يعلم أن سكوت عرف الحقيقة...

«ان ليس سوف يعتبر خروجي معك أمراً غريباً جداً... عندما اتصلت به تليفونياً وقلت انني آتية الى هنا لقضاء المساء بدت الدهشة في صوته.»

ونظرت الى سكوت تريد بعض التعليق، ولكنه انتظر أن تستمر.

«يجب أن تتذكر أنه لايزال يتصور أنك تعتقد أنني وهو زوجان... وهو لا يتوقع أن تأخذني منه... تأخذ زوجته!»

وانطلقت ضحكة جافة من شفتي رفيقها، وقال مفكراً:

«ترى هل فكرت في الورطة التي قد تجدين نفسك فيها؟»

«لم أحب فكرة الخداع، وفكرت فعلاً أنها قد تثير لنا المتاعب.»

«ولكنك بالطبع لم تستطيعي التصور الى أي حد قد تثير المتاعب.»

«لم أتوقع اطلاقاً أن أجدك هنا.»

«واذا كنت قد توقعت؟»

«بالتأكيد لم أكن لأوافق على الخطة اطلاقاً.»

وبدت تقطيبة على جبينه، وتمتم وكأنه يحدث نفسه:

«ان القدر غريب... لم أتوقع إطلاقاً أن أراك ثانية.»

وسكت واستغرق في التفكير. ونظرت اليه جين وقفز الأمل بداخلها. ترى الا يزال يهتم بها؟ بالتأكيد لا....

قالت عندما لم يبد دليل على أنه سيقطع الصمت:

«أعتقد أنه حان الوقت لعودتي. اذا كنت تصر على أن يظل أخي يجهل معرفتك حقيقة الوضع، فلا بد من أتصرف ووفقا لهذا سوف يوجه اليّ أسئلة محرجة.»

وخرج سكوت من أفكاره وهز كتفيه قائلاً:

«سوف يتصور أنني أحد أصحاب العمل الذين لا يؤمنون بمبادىء في أية حال لن أكون فريداً.»

«ان له رأياً عظيماً عنك.»

«حقاً. رغم أنني أظهرت اهتمامي بك؟»

«اهتمام؟»

هكذا رددت وهي تنظر اليه متسائلة، وقد بدا في عينيها بريق غير عادي:

«هل أنت تهتم بي؟»

ونظر اليها سكوت متمعناً، وبدا مليئاً بالتردد، ولكنه فجأة تبنى جو سخريته المألوف، وقال بصوت تشوبه السخرية:

«طبعاً ياعزيزتي جين... انك تعرفين جيداً أنني أهتم بك. ألم أطلب منك أن نخرج مع بعض؟»

وغاص قلب جين... كانت تتمنى فعل أي شيء لتسحب سؤالها الذي أدى الى هذا التغيير في سلوكه. وقالت وقد أسفرت كآبتها عن غضب:

«ليس لدي نية في إقامة علاقة خاصة معك...»

وبدا مستحيلاً أنه منذ لحظات قليلة فقط جعل الأمل يتسرب داخلها... كان سكوت رجلاً عابثاً. وكلما قبلت هذه الحقيقة بسرعة كلما كان هذا أفضل. وقال لها:

لا تكوني واثقة هكذا ياعزيزتي. اذا حاولت حقاً فانك لن تستطيعي مقاومتي.»

واتقدت عيناها:

«باله من رأي تظنه عن نفسك!»

قلت ذلك من قبل. ألا تستطيعين التفكير في شيء مبتكر؟»

وانتهت جين من شرب قهوتها. وقالت في حزن:

«سوف أذهب.»

ونهضت واقفة. ونظر الى ساعته وقال:

«لايزال الوقت مبكراً.»

«ستكون الساعة العاشرة عندما أصل الى البيت.»

www.elromancia.com

وهز سكوت كتفيه:

«حسناً جداً... سأعود بك.»

ولكن في طريقها الى السيارة توقف وأخذها بين ذراعيه. وقال وهو يحني رأسه...

«جين....»

«لا...»

وضاعت بقية الكلمات وأبعدها عنه وقال ساخراً:

«كيف تعترضين ياجين وأنت لاتقصدين الاعتراض؟»

وقالت في يأس:

«لن أتناقش معك ياسكوت. بعد أن حصلت على ماتريده هل لك أن تعود بي الى بيتي؟»

وضحك وقال:

«ما أريده؟ انني أريد أكثر من هذا ياعزيزتي جين.»

ونظر اليها ووجد الدموع في عينيها فقال فجأة:

«وهو كذلك سأعود بك.»

عندما وصلت جين الى مقر عملها في الصباح التالي تصرف سكوت وكأنه لم يقل شيئاً على الاطلاق في الليلة السابقة... ولم يبد حتى أنه لحظ توهج خديها عندما دخلت غرفته لتأخذ رسالة. كان صوته غير معبر... وقررت جين تقبله في أية حالة يكون فيها، وأنها لن تنسى من الآن فصاعداً أنها موظفة عنده، وسوف تتصرف وفقاً لهذا. وقال لها فيما بعد أنه سيقضي عطلة نهاية الأسبوع في سان فنسان، ولكنه أضاف أنه يتوقع أن يطلبها، لكتابة تقرير عن مشروعات التوسع في فندق النخيل وقال:

«أتوقع أن تكوني قد انتهيت منه عند عودتي يوم الأحد ليلاً.»

«سيكون جاهزاً.»

قالت ذلك بجمود، وبما أن الساعة كانت الخامسة ودعته وغادرت الغرفة. ركبت سيارتها وضغطت على المحرك ولكنه لم يتحرك... وضغطت ثانية، ولا حركة. ماذا بها؟ وكان سكوت أمام نافذته يراقبها، وأخيراً خرجت من السيارة ونظرت الى حيث وقف، فخرج الى الشرفة وسألها:

«ماذا بها؟»

«انها لاتتحرك.»

«هل حدث هذا من قبل؟»

«لم يحدث بها شيء حتى الآن. ولكنني لم أحصل عليها منذ زمن طويل.»

وأزاح سكوت المقعد الى الوراء وجلس في السيارة. وبعد لحظة كان ينظر اليها بشيء من المرح وقال:

«بنزين! ان السيارات تتحرك عادة عندما يكون بعض البنزين في الخزان.»

«ألا يوجد فيها بنزين!»

«تبدين مندهشة... هل كنت تعتقدين أن فيها كمية كبيرة.»

«حسناً. لم أفكر في ذلك.»

وسكتت، بينما هز سكوت رأسه بحركة خفيفة من الاشمئزاز:

«المرأة لاتهتم عادة بشيء حيوي جداً مثل البنزين... هل تدركين أنك ربما توقفت في الطريق؟»

«نعم... من حسن الحظ أن هذا لم يحدث.»

«سآخذك في سيارتي الى بيتك. وسوف أشتري صفيحة بنزين على حسابي تستطيعين ركوب سيارة الفندق لتأتي الى العمل في الصباح.»

كان ليس يقف أمام الفندق يتحدث الى ضيفين، واستدار في دهشة عندما رأى سيارة سكوت تقترب، بقلق بينما خرج سكوت وجين من السيارة.

«هل حدث شيء؟»

«ان... زوجتك نسيت وضع أي بنزين في سيارتها.»

www.elromancia.com

والتفت نظرة سكوت بعين جين وهو يتردد متعمداً واستطرد:

«ولذلك كان لا بدّ أن أعود بها في سيارتي.»

ونظر اليه ليس بطريقة غريبة وقال:

«لو اتصلت بي تليفونياً لأرسلت لك بعض البنزين.»

ورد سكوت بدون اهتمام:

«لم يكن الأمر يستحق إزعاجك. اذا كان عندك صفيحة بنزين أستطيع أن آخذها.»

«سوف أكلف شخصاً باحضار صفيحة.»

وانصرف ونظرت جين الى سكوت وقالت بلهجة عداء:

«ما الذي تحاول أن تفعله؟ لقد جعلت ليس يشك الآن.»

وضاقت العينان الزرقاوان وكذلك الابتسامة التي كانت تحوم بمرح على شفتيه. وسألها:

«كم مرة يجب أن أذكرك بأنني رئيسك؟»

«مخدومي.»

«اختاري كلمتك التي تريدينها... يجب أن تحترميني... وإلا.»

«لقد بدأت أتعب من تهديداتك ياسكوت. ما الذي تستطيع أن تفعله بالضبط؟»

«أفصلكما. وأرسلكما الى انكلترا.»

وأخضعها هذا. فقد كان يقصد ما قال. وتمتمت معتذرة وأضافت كلمة شكر لأنه أوصلها. وقال:

«لا داعي للشكر.»

ثم استدار ليقابل أخاها حاملاً صفيحة سعة غالون بنزين وشكره سكوت وجلس في سيارته وانطلق بين صفي الأشجار على جانبي الممر المؤدي الى البوابة.

وغمغم ليس وهو يلتفت الى جين:

«ان شيئاً غريباً يحدث. ان ماكان يدور بينكما أنتما الاثنان أشبه بما يحدث عادة بعد خناقة عاشقين.»

«لاشيء من هذا... انني لم أحب سخريته. فرددت عليه. هذا كل ما في الأمر.»

«ناسية أنه مخدومك؟»

«لا أستطيع أبداً أن أنسى ذلك. انه يذكرني به دائماً.»

وبدت نافدة الصبر من ليس ومن سكوت.

«هو يذكرك!»

وأدركت جين الآن فقط أنها نسيت ثانية أن تكون لبقة وقالت:

«عندما أرد عليه يذكرني... نعم.»

وهز ليس رأسه مفكراً، وقال باقتضاب:

«انه وضع مضحك. القنبلة سوف تنفجر بعد قليل. أستطيع أن أراها قادمة.»

«ماذا تقصد؟»

«يجب أن يعرف سكوت الحقيقة.»

«أننا لسنا زوجاً وزوجة؟»

«بالضبط.»

«وهل هناك أي سبب معين لتقول ذلك؟»

«هناك سببان.»

«أوه...»

«أولا أنت وسكوت. لافائدة من إنكارك ياجين. وهناك شيء ما يدور بينكما ولا أعرفه أعتقد أنه سيكون سعيداً جداً اذا عرف أنك غير متزوجة أما بالنسبة لك، فانني لست واثقاً تماماً من أنك لاتهتمين به كما قلت لي.»

ولم تحاول إنكار هذا. وسألته وهي ترمقه بنظرة:

«والسبب الثاني؟»

تردد لحظة طويلة، وبدت تقطيبة على جبينه ثم قال أخيراً:

«انها جوين.»

«جوين. هل تستلطفها؟»

«أكثر من استلطاف ياجين.»

وقالت جين بهدوء:

«انني سعيدة باليس. لا تقاطعني لتقول انك لست متأكداً من أن مشاعركما متبادلة. لقد عرفت أن جوين تهتم بك.»

واتسعت عيناه.

«كيف؟»

«سمعتها تقول انها يجب أن ترحل بسببك. اعتقدت أنها وقعت في غرام رجل متزوج.»

«هل سمعت هذا؟ ومع ذلك لم تشيري اليه؟»

«لم يكن من النوع الذي يشير اليه المرء»

«كان يمكن أن يبعث الراحة الى ذهني.»

«وكيف أستطيع أن أعرف أنك مهتم بها؟ هل فكرت فيها في وقت ما؟»

«كنت تعرفين أنها تهتم بي عندما سألتك اذا كان لديك أية فكرة عن سبب رغبتها في ترك العمل؟»

«نعم، كنت أعرف.»

«حسناً، كانت حيلة قذرة ألاّ تقولي لي.»

«لم أكن في وضع أخبرك فيه. لم تكن لدي أية فكرة أنك مستعد أن تعترف لسكوت بكل شيء.»

وخطر لجين فجأة أنه عندما يعترف ليس بكل شيء، فانها نفسها سوف تتحرر من سيطرة سكوت عليها، التي كان يروق له أن يذكرها بها دائماً.

واعترف ليس قائلا:

«لقد مررت بعذاب أليم. لم أكن أريد أن ترحل.»

«اذن لماذا لم تلمح لها؟»

«كيف ألمح لها وهي تعتقد أنني متزوج؟»

وهزت جين كتفيها وقالت:

«لاتنظر اليّ وكأنني الملومة على ذلك. أنت الذي فكرت بظهورنا كزوجين.»

وقال في لهجة ألطف.

«أنا آسف ياجين. انني مرتبك. أوه... كنت تشكّين منذ البداية في أن الأمور ستسير بسهولة. ولكن هذا ليس مهماً الآن. المهم أن تمنع جوين من مغادرة كورال غيبلز. لا أريد تحمل مشقة السفر الى انكلترا بعدها.»

وابتسمت جين وقالت.

«هل كنت ستفعل ذلك؟»

«بالتأكيد.»

وبعد لحظة صمت أضاف:

«هل عندك أية فكرة عما سيكون عليه موقف سكوت اذا عرف نبأ خداعنا؟»

وهزت كتفيها بلا اهتمام. ولكن هذا الخداع الجديد كان يزعجها مثل الآخر. شعرت أنه يتعين عليها أن تكون صريحة مع ليس فوراً... ولكنها تذكرت أمر سكوت بأن تظل صامتة.

«ليس عندي فكرة... ولكن سوزان وديفيد يعتقدان أن سكوت لن يغضب كثيراً اذا عرف.»

«سوزان وديفيد؟ وكيف حدث أنهما ناقشا احتمال اعترافنا بالحقيقة؟»

«كانا يمزحان حول هال شارلتون... ويبدو أنهما يعتقدان أنك أيضاً سترغب في الكشف عن الحقيقة.»

وأومأ ليس ومضى يخبر جين أن ديفيد جاء يوماً وعندما لحظ أن ليس يتحدث مع جوين قال:

«انها فتاة لطيفة... يبدو أنك مغرم بها.»

www.elromancia.com

وقتمت جين ساهمة... لابد أنه هو وسوزان استنتجا أنك ستضطر الى اخبار سكوت بالحقيقة.

«يبدو ذلك.»

«هذا الحال هل يعني شيئاً لك؟»

وبدأت تهز رأسها وقال ليس.

«ولماذا تبدين واثقة الى هذا الحد؟ مهما أنكرت ياجين فان هناك رجلا واحداً في حياتك.»

واحمر وجهها، ومضى يقول:

«لم تعترضي الآن عندما قلت أن شيئاً ما يجري بينكما ولا أعرفه وأن سكوت سيكون سعيداً اذا عرف أنك أختي ولست زوجتي.»

وتكلمت أخيراً لتكرر ما قالته وهو أن سكوت لايهتم بها وأنه بالتأكيد لايهتم بالزواج... وأضافت.

«يقول انه يتمتع بكل شيء بدون زواج. الى جانب أن ألما موجودة.»

«انه يتسلى بها فقط»

«كان سكوت رجلاً شريفاً يعتز بالأخلاق.»

قالت ذلك والألم الواضح يبدو على وجهها. ولم يفت هذا أخاها الذي قال:

«حتى رفضته أليس كذلك؟ الكبرياء لرجل مثل سكوت أمر هام جداً. لا بدّ أنه كرهك لما فعلته به!»

وهزت جين رأسها بحزن وقالت معترفة:

«أعتقد ذلك.»

«ومع ذلك لا أتفق معك في أنه لم يعد مهتماً بك. ما عليك إلا التفكير في سلوكه... أولاً قرر أن يأخذك سكرتيرته.»

«كان هذا أمراً طبيعياً. فقد كان يعرف أنني أستطيع تأدية العمل ولم يكن هناك شخص آخر يعينه في هذه الوظيفة.»

وتجاهل ليس هذا وسألها بصراحة:

«ألا تحبين الاعتقاد بأن هناك سبباً آخر لتعيينك في وظيفة سكرتيرته؟»

«نعم ياليس أحب الاعتقاد بهذا. ولكن لم يكن هناك سبب!»

«ما علينا الا أن ننتظر ونرى...»

وأنهيا الموضوع.

كان هال عند كلمته عندما قال انه يود رؤية جين ثانياً. وفي مساء أحد الأيام حضر ليتناول العشاء ويرقص في حفل أقيم في كورال غيبلز.

وفي جو رائع تناول جين وهال العشاء ورقصا. وفي منتصف الحفل وصل سكوت وحده وراح ينظر في كل اتجاه، وأخيراً وجدت عيناه ما كانتا تبحثان عنه. وبخطواته الرشيقة وصل الى المائدة التي جلس حولها جين وهال.

«مساء الخير ياجين... ياهال.»

«مساء الخير.. تفضل معنا.»

وكانت دعوة هال فاترة ونظر اليه سكوت بتعال. وأجاب:

«يسرني هذا.»

وركز عينيه على جين التي كانت تحرك مقعدها قليلا حتى تفسح مكاناً للكرسي الاضافي حول المائدة الصغيرة. وجلس سكوت وراقب الجميع رقص الليمبو عدة دقائق.

وحضر ليس وانضم اليهم حول المائدة. وعندما انتهى رقص الليمبو وقف سكوت ودعا جين للرقص ولمحت نظرة أخيها وتقطيبة هال أيضاً وهي ترقص بين ذراعي مخدومها! وما كادا يبتعدان عن المائدة حتى قال بحدة:

«يبدو أنك نسيت أمري.»

«أمرك؟»

«قلت لك أن تتصرف بطريقة مهذبة بخصوص هال شارلتون.»

وسألته بالتضاب:

«وما الذي فعلته؟»

«كنت تجلسين معه حول مائدة مخصصة لشخصين. وكان رأساكما ملامسين مثل عاشقين حتى رأيتني.»

وشعرت جين بأصابعه على ظهرها وهي تغرز فيه مثل قضبان من حديد. وأنكرت بتحفظ وكبرياء قائلة:

«هذا ليس صحيحاً. كنا نتحدث. وكان لا بدّ أن نقترب من بعضنا لأن الأصوات عالية حولنا.»

«المفروض أنك متزوجة. واذا كان لا بدّ من جلوسك مع أي رجل فالمفروض أن يكون ليس.»

«كان مشغولاً.»

«قلت أنك تستلطفين هذا الشخص هال شارلتون... هل هذا صحيح؟»

وصمتت لحظة ثم قالت:

«نعم.»

وفكرت. اذا أمكن اقناعه فان هذا سيضع نهاية لكل محاولات التودد.

«ولا تهتمين بأن له سمعة سيئة؟»

«معظم الرجال لهم سمعة. قلت أنت نفسك أكثر من مرة أن هذا لم يعد شيئاً هاماً. وان الناس ليس عندهم مثل عليا.»

وذكّرها قائلا بحدة:

«ولكن عندك أنت مثل... أو هكذا قلت لي.»

«لا أقول أنني سأذهب الى حد الزواج من هال...»

ومرة أخرى شعرت بالأصابع الصلبة تضغط على ظهرها.

«لاتستطيعين والأمور على ما هي عليه.»

«كلا...»

هل تخبره بأن يتوقع اعترافاً من أخيها قريباً. سوف تجد متعة في مراقبة رد

فعله وتقول له أنه لن يكون في وضع يفرض فيه إرادته عليها بعد أن تتخلص من سيطرته. على أن الاعتراف كان من شأن ليس وحده فأثرت جين الصمت ولكنها قالت.

«اذا كنت تفكر في أن تتسلط عليّ وتمنعني من مقابلة هال فلا تحاول. لقد بدأت أتعب من أوامرك!»

ورفع حاجبيه ليس بعجرفة وانما بدهشة وقال في تهكم:

«انك تدهشينني. من الواضح أنه حدث بعض التغيير. أذكر...»

وردت بضيق:

«أوه... أرجوك. انسى كل هذا الهراء.»

«اذن كان هراء!»

وبدا تعبير غريب في عينيه وأضاف.

«تعترفين بذلك بعد كل هذه المدة!»

«لا أريد أن أخضع للسيطرة وأتلقى الأوامر... ان أية امرأة في كامل عقلها لاتريد ذلك.»

وهو كذلك... وهو كذلك.»

وبيده تحت مرفقها قادها بعيداً عن الضجة ناحية الشاطىء الذهبي الشاحب قال:

لاداعي لأن تصابي بهستيريا من أجل هذا.»

لست مصابة بهيستيريا...»

«لن تنكري أن مزاجك معتل.»

وتحولت نظرة التهكم الى نظرة تسلية وقال:

«انك فتاة عاطفية جداً ياجين. وأي شخص يتزوجك سيلقى متاعب الا...»

وأضاف بدعابة جافة:

«إلا اذا ضربك منذ البداية.»

www.elromancia.com

وضحك من غضبها وغاظها أكثر عندما ربت خدها الأحمر.

«كان يجب أن أفعل هذا عندما اكتشفت هذا الجانب من طبيعتك!»

وظلت صامتة. ليس فقط لأنها لم ترغب في مناقشة موضوع يحرجها ولكن أيضاً لأنها لم تكن واثقة تماماً من أنه لايفتقر الى قوة الشخصية كما كان منذ أربع سنوات. قال ليس ان سكوت قد أحبها لدرجة أنه تركها تنفذ كل رغباتها، وكانت جين تميل جداً الى قبول هذا.

وسار سكوت ويده لاتزال تحت مرفقها. كان الليل ساحراً. القمر الاستوائي عالياً متألقاً مثل الفضة اللامعة. والنجوم براقة تخترق سماء الكاريبي الزرقاء في منتصف الليل. والموسيقى والعطر تملآن الهواء الدافىء اللطيف.

وأصبح الجو مسيطراً فجأة. كان الرجل الى جانبها يثبت شخصيته بدون جهد كبير أو حتى معرفة... وشعرت جين كأنها ستقع في نسيج عنكبوت مصنوع من كل خيوط الطبيعة الساخرة ولكنه عالم مفتوح يدعوها الى دخوله الرجل الذي بجانبها.

«أريد أن أعود.»

قالت ذلك عندما قرر سكوت أن يتوقف تحت شجرة جوز الهند حيث تقابلا لأول مرة في باربادوس.

«عد بي... عد بي...»

وحملق ثم ضحك واستمد سعادته من الذعر في عينيها.

«الطلب متأخر... أليس كذلك؟»

«لم أكن أنظر الى أين كنا ذاهبين.»

«لا يوجد أحد غيرنا... لا يوجد الا أنت وأنا والبحر والسماء. قد تكون جزيرة صحراوية.»

وقبل أن تقوم بحركة تبتعد بها مقدماً عما يقصده أمسكها بحرارة لدرجة أنها شعرت بفقدان حواسها. لم يحدث في الأيام القديمة أن أبدى مثل هذه الحرارة. كان لطيفاً، يخشى أن يؤذيها عقلياً أو جسدياً، ولكنه ليس كذلك الآن. كانت ذراعاه

حبلين شديدين عنيفين وشفتاه تأمران بلا رحمة متسلطتين في غرابة. وكان صوته غليظاً. وأبعدها عنه، وقال:

«من حسن حظك أننا لسنا وحدنا على جزيرة صحراوية وإلا ضاعت مثلك العليا ياجين الحلوة!»

www.elromancia.com

١٠ ـ سمكة الحب

كانت مرهقة تماماً وأخذ قلبها يدق أكثر من المعتاد، واستطاعت جين أن تخلص نفسها من اليدين اللتين تمسكان بها. وفي ثانية واحدة أمسكها سكوت وقال:

«لا تجري. ستبدين حمقاء وأنت تعودين جرياً هكذا.»

«وكيف ستبدو أنت؟»

وارتجفت. هزتها عواطفها اكثر مما هزها تأثير عواطفه عليها.

وأجاب بهدوء:

«سأتركك فقط.»

وتساءلت. كيف استطاع أن يستعيد هدوءه بهذه السرعة؟ وأضاف:

«ستعودين وحدك ويتساءل الجميع في عجب ما الذي حدث لك؟»

«انك كريه، سأكون سعيدة جداً عندما أكون حرة وأعود الى بلدي، وسوف أتحرر قريباً.»

وسكتت بعد أن فات الوقت... وامسك بمعصمها ولفها وأوقفها في مكانها بلا حراك.

«ماذا قلت؟»

كانت النبرات ناعمة، ولكنها منذرة. وشعرت جين بالخوف منه وهو في هذه

الحالة، كما خافت منه منذ دقائق قليلة قبل ذلك. ما أكثر ما عرفته عن سكوت منذ أن قدمت الى باربادوس. سكوت السمكة الهلامية بدون عمود فقري كما سمته. كان يمكن أن تضحك من ذكرى رأيها المهين عنه.

«لم أقل شيئاً...»

«ماذا قلت؟»

كانت على وشك البكاء، وطرفت عيناها بسرعة بينما نظرت الى وجهه الغامض الذي لايمكن فهمه.

«ستعرف قريباً جداً...»

وتوقفت جين، وأطلقت صيحة اعتراض صغيرة عندما هزها سكوت وقد نفد صبره. وقال وهو يضغط على أسنانه:

«والآن... هل لك أن تستمري فيما كنت على وشك أن تقوليه؟»

وأخبرته وهي مغلوبة على امرها ليس سوف يقدم اعترافاً كاملاً بكل شيء...

«لقد وقع في حب جوين... كما ترى...»

أضافت بصوت متقطع بسبب الدموع التي حبستها من ناحية، وبسبب رغبتها الداخلية من ناحية أخرى، بعد أن هزها سكوت بعنف. وسألها وقد حاد للحظة عن الموضوع الرئيسي:

«هل يريد أن يتزوجها؟»

«نعم أعتقد هذا...»

«نعم، فهمت.»

واستغرق في التفكير، وتساءلت جين اذا كان يدرك أن سيطرته عليها على وشك أن تنهار، وأنه منذ ذلك الوقت فصاعداً لن يكون في وضع يمكنه من اصدار الأوامر لها. سوف يظل بالطبع مخدومها ـ طوال المدة التي تظل فيها في خدمته ـ ولكنه لن يستطيع بالتأكيد معاملتها كما عاملها هذا المساء، وسألها:

www.elromancia.com

«هل فكر في الصعوبة التي سيجدها في مواجهة كل شخص؟»

«لا... لا أعتقد أنه فكر في هذا.»

والواقع أنها هي نفسها لم تفكر كثيراً في هذه الناحية. اقام ليس صداقة مع أشخاص قليلين في الجزيرة، وسوف يشعر بالحرج عندما يعترف لهم أن جين هي شقيقته وليست زوجته!

«أيعرف فعلاً أنني قد أفصله؟»

وانقبض قلبها وقالت:

«انه مستعد لهذا كما أعتقد، ولكننا بدأنا نفترض أن رضاك عن الطريقة التي تدار بها الفنادق...»

وتوقفت، وشعرت بأنه قبض عليها من اتساع عينيه عندما حل تعبير من التساؤل محل صفة الغموض السابقة في نظرته. وأضافت أخيراً بحماقة:

«لقد فعلتها ثانية.»

«يبدو واضحاً أنك فعلتها. يهمني جداً أن أعرف أكثر. ان اشارتك الى الفنادق بالجمع يعني أن صديقيك ديفيد شور وزوجته واثقان من أنني سأعفو عن الخديعة.»

واعترفت رغماً عنها أن هذا صحيح. وأضافت قائلة:

«لقد تحدثنا عن الوضع كله طبعاً في يوم من الأيام.»

وعندما بدا أنه على وشك أن يفقد أعصابه قررت اخباره بكل ما قيل.

«لأنني أعتبر موظفاً عندي كفئا يجب علي التغاضي عن أي شيء خطير مثل الخداع الذي مارسته أنت وأخوك؟»

هكذا قال أخيراً في تجهم وأضاف:

«ان ثقتها تدهشني. انني أفكر في فصلكم جميعاً.»

وردت في توسل وهي على وشك البكاء:

«لا... أرجوك... لاتفعل. لقد تصرف ديفيد وزوجته بنية حسنة عندما رشحا

ليس للوظيفة. كانا يعتقدان أنه خطب كارولين تقريبا. وهي الفتاة التي ظل في صحبتها عدة شهور.»

وظل سكوت صامتاً فترة بعد انتهاء كلامها. كان فمه مطبقاً وعيناه جامدتين، وغاص قلبها عندما تصورت أن ديفيد وسوزان سيفقدان وظيفتيهما بسبب ما فعلاه من أجل ليس.

وأخيراً تكلم سكوت ليقول انه سيفكر أكثر في الموضوع كله، وربما يناقشه مع مدير أو مديرين آخرين للشركة. وصاحت قائلة:

«هل لا بدّ من ذلك؟ لن يجدوا أي أعذار مبررة على الاطلاق.»

«وما الذي يجعلك تعتقدين أنني سأجد أعذاراً مبررة؟»

«لقد رأيت مافعله ديفيد وسوزان شور. يجب أن تعترف أنك سررت جداً بالطريقة التي يديران بها الفندق.»

«انني أدفع أجراً مقابل الكفاءة، ولذلك أتوقعها. كلامك يعني أنه يجب عليّ أن أكون ممتناً لآل شور.»

وبسرعة هزت رأسها وقالت:

«لا... لم أقصد هذا بكلامي.»

وتوقفت وهزت كتفيها في يأس. وأخيراً أضافت بجمود:

«لست في حالة طيبة لتفهم.»

«انك على صواب. انني لست في حالة طيبة.»

ونظر اليها لحظة في صمت، ثم قال:

«وما هي خططك أنت؟»

اذن فقد أدرك الحقيقة بأنها ستتحرر من سيطرته... ومن الغريب، ولأسباب غير مفهومة تماماً، لم يبعث هذا الوضع في نفسها الرضى الذي كانت تتوقعه. وقالت له في هدوء:

«فكرت في العودة الى بلدي.»

www.elromancia.com

وساد صمت شامل عميق لم يقطعه الا صوت البحر اللطيف على الشاطىء المقوس.

وأخيراً قال بنبرة هادئة جداً:

«اذن. لقد خذلتني.»

«لن يمضي وقت طويل حتى تجد شخصاً يأخذ مكاني.»

وتمنت لو أنها لم تقل ما قالته. والواقع أن فكرة الرحيل وعدم رؤية سكوت ثانية خلقت صورة كئيبة أمامها.

«سوف تتركين أيضاً هال، الذي تقولين انك مغرمة به...»

وركز عينيه عليها وأشاحت برأسها. وتمتمت قائلة:

«ان الصداقة لم تتحول الى أي شيء لايمكن تحطيمه.»

«اذن، لقد كذبت عندما قلت لي انك تهتمين به.»

«قلت انني أستلطفه... لا.لم أكذب.»

هكذا أضافت بسرعة وهي تشعر أنها قد تكشف عن حبها لسكوت إلا اذا استعملت هال.

«اذن أنت مصممة على مغادرة باربادوس؟»

وترددت، ولكن ادراكها السليم تدخل ليذكرها أن البقاء لابد أن يسفر عن الألم النفسي لها. ولا شيء آخر. صحيح أنها قد تعجبت وتساءلت في وقت من الأوقات عما اذا كانت لديها فرصة مع سكوت، بل أن ليس بدا مقتنعاً أن لديها فرصة ولكن اذا كان سكوت يريدها زوجة له فليس عليه إلا أن يقول هذا... كانت المسألة بسيطة جداً. ان كل مايريده منها هو أن تكون ألما أخرى... امرأة يتسلى معها ثم ينحيها جانباً عندما يظهر وجه جديد أكثر جاذبية يشد اهتمامه. وأخيراً:

«نعم. انني مصممة على مغادرة الجزيرة.»

«حسناً...»

قال هذا مشدداً وبريق هائل جداً في عينيه:

«اذن ليس هناك مايقال أكثر من هذا... تعالي... دعينا نعود ان صديقك سيتساءل الى أين ذهبت.»

كان ليس متضايقاً ونظر الى وجه أخته الحزين وقال:

«هل تشعرين حقاً أنه سيفصل ديفيد وسوزان؟»

وأجابت وهي تقطب جبينها:

«لا أستطيع التأكد من هذا. قلت لك كل ما قيل تقريباً. كان سكوت غاضباً بالتأكيد بخصوص كل الخداع. خداعها وخداعنا.»

«لا أعرف لماذا كشفت عن كل شيء بتلك الطريقة. ان المسألة كلها تخصني أنا.»

قالت جين مكررة ما أخبرته به بالفعل:

«لقد انكشفت الحقيقة بالصدفة.»

كانت تجد صعوبة كبيرة جداً حتى تحتفظ بصبرها، فقد اتخذ ليس موقفاً غير منطقي بالنسبة لزلة لسانها. وأضاف:

«لا تتصوري مدى التوتر الذي ساد.»

«متى تقترح اخباره؟»

وتردد وقطب جبينه. وأخيراً رد بسخرية:

«لابد أن أخبره قريباً بعد كشفك عن السر. لايمكن تأجيله.»

هل كنت ستؤجله اذا استطعت؟»

وهز كتفيه وقال انه لايعرف حقاً. عندما كان يفكر في وضع آل شور كان يشعر في الواقع بأنه يتعين عليه استشارتهما أولاً، ويعرف رأيهما في الموضوع. وأضاف:

«طبعاً. كنت أعتزم اخبار جوين بالحقيقة سواء قررت تأجيل اخبار سكوت أم لا.»

وبعد دقائق قليلة تركته جين وأوت الى فراشها. لم يثر ليس الى شكه

هو نفسه في أن سكوت مازال يهتم بها، فقد كان عندئذ مشغولا بالاخبار السيئة التي سردتها له.

كانت ليلة قلقة أخرى بالنسبة لجين، وكان هذا واضحاً بالطبع عندما وصلت الى منزل دريفتوود في الصباح التالي، بهالات قاتمة تحت عينيها، وشحوب في خديها. كان سكوت يبدو بارداً متزناً كالعادة، ونظر اليها متفحصاً قبل أن يقول:

«واضح أنك لم تنامي. أرجو ألا يؤثر هذا على تركيزك.»

كان يبدو وكأنه بلا قلب، وطرفت بسرعة وقالت بصوت متوتر:

«سأقوم بعملي كالمعتاد.»

«ان هذا يبعث ارتياحي... فهناك عمل كثير لابد من انجازه.»

وجعلها تعمل أكثر من أي يوم مضى. ولكن بصرف النظر عن مظهره الخارجي الصارم، بدا وكأنه يحاول التغلب على بعض الحزن، وتذكرت الانطباع الذي ورد الى ذهنها بأنه رجل وحيد رغم عمله ورغم المسرات التي كان يشير اليها بسخرية. ترى ما الذي حدث لألما؟ هل انتهت علاقتها بسكوت أو أنه هو الذي أنهى هذه العلاقة؟

كانت جين تفكر في هذه الأسئلة وغيرها عندما انطلق صوت سكوت الحاد ينبهها الى أن المفروض أن تكتب رسالة وقال:

«انتبهي. انك لم تكتبي تلك الجملة الأخيرة. اقرأي ماكتبته هنا.»

وابتلعت الغصة الصلبة الصغيرة في حلقها وأطاعت. وبعد أن انتهت ساد الصمت للحظة رهيبة. وبادرته قائلة:

«آسفة... إذا سمحت. أرجو أن تكرر...»

وسألها ثائراً:

«ماذا دهاك؟ ان كل ماكتبته خطأ.»

وفتحت فمها لترد كلمة اعتذار أخرى ثم أغلقته ثانية.

وسحب سكوت نفساً وهو نافد الصبر، وبدأ يمليها ثانية. وانفجرت جين عندما اختزلت الرسالة وكتبتها على الآلة الكاتبة في غرفتها. ونهضت لتوقيعها عندما نظرت من النافذة ورأت سكوت يسير في الحديقة. وبدا أنه يسير بلا هدف، وقد أحنى رأسه وترك ذراعيه يتأرجحان الى جانبيه. وانقبض قلب جين، ولكن في اللحظة التالية كانت تسأل نفسها لماذا تهتم برجل أدت معاملته لها الى قرارها بمغادرة الجزيرة التي أصبحت مغرمة جدا بها؟ سوف تشعر بألم كبير ولكنها كانت غلطة سكوت وحده... اذا كان مكتئباً ـ وكانت واثقة أنه كذلك ـ فلا بدّ أن كآبته لها صلة بألما. لعله أصبح يشعر نحوها بشيء أعمق من مجرد الرغبة، رغم أن جين لاتستطيع إطلاقاً التصور أنه وقع في غرام الفتاة. فقد كانت متصنعة تحب المظاهر، والى جانب هذا لايمكن أن تكون مخلصة لسكوت أو لأي رجل آخر قد تختاره لتتزوجه.

ووقفت جين مترددة دقائق قليلة، ثم سارت الى غرفة مكتب سكوت، ووضعت الرسالة على مكتبه وبينما كانت تغادر غرفته رن جرس التليفون، وعندما التقطت السماعة سمعت صوتاً نسائياً ناعماً يقول:

«أوه... هل هذه أنت ياسيدة كوتس؟ هل سكوت موجود؟ أرجو أن تخبريه انني أريد التحدث معه...»

رن الصوت في أذني جين يحمل نبرة متوترة، وافترضت بسرعة أن مشادة حدثت بين الفتاة وبين سكوت. خناقة عاشقين كما تصورت. وزمت شفتيها كبيراً عن الاحتقار المرير الذي استولى عليها عدة ثوان، وقالت جين وهي تشعر برغبة شريرة لتترك الفتاة حائرة:

«انه ليس هنا في الوقت الحاضر.»

«أوه... ولكن لابدّ أن يكون موجوداً في أي مكان، وإلا لما كنت أنت هناك. ابحثي عنه أرجوك ياسيدة كوتس.»

كان أمراً ولو أنه مغلف بالحرير. وزمت جين أسنانها وترددت، وأخيراً قالت

في استسلام:

«سأرى اذا كنت أستطيع ايجاده.»

ووضعت السماعة. ولم يكن سكوت في مكان مرئي عندما خرجت الى الشرفة بل ذهب ناحية بركة صنعت في مجرى جدول، وسلكت الممر المحفوف بالأزهار المؤدي اليها. ووصلت الى الجدول وتوقفت لحظة ترقب المياه الهادرة اللامعة، وهي تمر بين نباتات استوائية تغطي ضفتيه، واستمرت تسير مارة ببرك وشلالات مائية صناعية. أين يمكن أن يكون؟ لم تكن جين قد ذهبت الى هذا الجزء من المنطقة من قبل، ووقفت ثانية ونظرت حولها. كانت الحدائق هنا تبدأ في الاندماج مع فدادين الأحراش المليئة بالأشجار التي تشكل المحيط الخارجي الرائع للمقاطعة ونادت أخيراً وسمعت رداً. كان على مسافة بعيدة جدا، واتجهت ناحية مصنع السكر فقد جاء صوت سكوت من تلك الناحية. وأطلقت شهقة عندما دخلت مالا يمكن وصفه الا بأنه منطقة خيالية من الألوان والروائح العطرة. كانت الصخور المرجانية الضخمة تكّون حديقة صخرية طبيعية تضم كل نوع من النباتات البديعة. وصاحت:

«أوه... ما أجمل هذا!»

ونسيت الغرض من جولتها فوقفت وأخذت تحملق.

«هل كنت تنادين؟»

هكذا قال سكوت وهو بجانبها، فقد اقترب بدون أن تسمع له صوت وأومأت برأسها وهي لاتزال مذهولة قليلاً بالجمال الذي حولها. وقالت له:

«مكالمة من الآنسة بونسول تنتظرك.»

«صحيح؟»

وبدا عليه أنه لايعير ألما أي اهتمام في الوقت الحاضر.

«ألم تأتي الى هنا من قبل؟»

. وهزت جين رأسها قائلة:

«لم أكن أعرف حتى أنها موجودة.»

«ظننت أنك قمت بجولة في كل المنطقة.»

«في الحدائق القريبة من المنزل فقط لايمكن أن أحلم بالتطفل والمجيء الى هنا إلا اذا دعوتني.»

«ما الذي يجعلك تعتقدين أنك تتطفلين؟ أذكر أنني دعوتك لتقومي بجولة، وأذكر أننا كنا نتكلم عن القرود عندئذ. هل رأيتها؟»

«لم أرها هنا. لقد رأيت واحداً أو اثنين فوق أجزاء أخرى من الجزيرة.»

ونظرت اليه ولحظت الخطوط الرمادية الصغيرة على جانبي فمه. كان هناك شيء من التوتر في الجو جعلها تقول بسرعة:

«الآنسة بونسول... ألن ترد على التليفون؟»

وأومأ برأسه ولكنه كان ساهياً:

«نعم. أعتقد ذلك. منذ متى اتصلت؟»

«لا بدّ أن مرت خمس دقائق أو حتى أكثر.»

لا بدّ أنها قطعت المكالمة اذن.»

هكذا قال. وساد صمت عميق بينهما وهما واقفان هناك جنباً الى جنب في الحديقة الصخرية الجميلة، ثم قالت جين:

تركت الرسالة على مكتبك.»

اشكرك.»

ونظر الى وجهها بعد أن تحرك قليلاً ليكون أمامها

«لا داعي للخوف.»

قال هذا بحدة عندما رآها تخطو الى الخلف بطريقة لا ارادية.

«انني أحتفظ بعواطفي المتأججة لجو المساء الشاعري.»

حملقت واتسعت عيناها. ولم يسعها إلا أن تقول:

«هذه ملاحظة غريبة جداً.»

www.elromancia.com

وزاد من دهشتها أن عينيه الزرقاوين اتقدتا بغضب مفاجىء وقال:

«لقد اتخذت قراراً.»

كان لديها الانطباع الأكيد بأنه يفكر في هذا القرار منذ الليلة الماضية، وأنه خرج وأتى الى هنا هذا الصباح. الى المنطقة المحيطة ببيته حتى يكون وحده ويعيد التفكير فيه ثانية.

«انني أقدم لك انذاراً.»

وانتابها ذعر وتقلص قلبها، وشعرت بالدم يصعد الى خديها. وضاقت عينا سكوت ولوت نصف ضحكة ساخرة ركني فمه:

«ليس هناك ما يدعو للخجل.»

هكذا أكد لها بالنبرات الحادة نفسها:

«انه ليس ذلك النوع من الانذار.»

ولم تستطع جين إلا الاستماع فقط. وظلت لحظة عاجزة عن الكلام مبهورة بخفقان عصب في عنقه.

«ما... ما هو اذن؟»

«قررت التغاضي عن الخداع. سواء كان خداعك أنت وأخيك أو خداع صديقيك. بشرط واحد.»

«أوه، ما هو؟»

لم تستطع إلا أن تقول هذه الكلمات، وظلت تحملق في ذلك العصب وهي تتساءل... ترى ما الذي سيعقب ذلك؟ ها هو سكوت في حالة مختلفة تماماً عن أية حالة رأته فيها من قبل.

«الشرط هو أن تستمري في العمل عندي.»

وفجأة مثل ومضة كهربائية تخترق سماء قاتمة. تحرك ادراكها ومنعها عن التنفس والكلام، وأثر على كل عصب في جسمها. لقد أذهلتها المعجزة، وأخذت تحرك رأسها من جانب الى آخر وتصور سكوت أنها تعبر عن رفضها، فقال

غاضباً وقد توهجت عيناه:

«في تلك الحالة... ستفصلون كلكم... كلكم.»

وأفاقت جين، وقد مست ابتسامة صغيرة غريبة شفتيها الورديتين الممتلئتين:

أستطيع أن أصدق هذا.»

وغلبتها مشاعرها فوضعت أطراف أصابعها فوق عينيها وأفلتت دمعتان كبيرتان وسالتا الى أسفل حتى معصميها. وقالت وقد قررت أن تكون عملية:

«كنت واثقة أنك لن تؤاخذ ديفيد وسوزان في أية حال. ان هذا ليس من طبعك.»

«بحق الجحيم. ما الذي تتحدثين عنه؟»

وقبض على معصميها بعنف وأبعد يديها عن وجهها:

«ما الذي تحاولين قوله؟»

ثم أمرها قائلاً:

تفوليه. ولا تستمري هكذا في التمتمة عن آل شور.»

لك تؤلمني ياسكوت.»

لمك... سوف...»

ولم ينطق تهديده. وأطلق يديها وحملق فيها وأشرقت ابتسامة بطيئة ظافرة ما استطاع هو أيضاً أن يرى النور أخيراً:

ن... جين... عزيزتي.»

مربدا عليه الذهول. ولكن ذهوله لم يمنعه من رؤية دعوة جين الواضحة عندما فغرت شفتيها الناعمتين.

ياحبيبتي... يافتاتي... كيف حدث هذا؟»

حدث هذا عندما وجهت تهديدك الآن... كنت تحاول أن تستغل الوضع لتحصل لى ماتريده، وهو أن تجعلني أبقى هنا... وفجأة استوعبت الحقيقة، وهي أن الحب و الذي قادك الى هذا الطريق. وإلا لماذا تحرص الى هذا الحد على بقائي.»

www.elromancia.com

وأومأ رأسه، واعترف بأنه كشف عن مشاعره بذلك التهديد، وقال لها انه لم يكن يعني هذا، وخاصة بعد أن قالت له بكل جرأة انها تستلطف هال شارلتون. واستمر سكوت يقول بصراحة:

«لقد شعرت بغيرة جنونية منه. وهذا هو السبب الذي جعلني آمرك بالانصراف بطريقة مهذبة أكثر. لم أستطع تحمل فكرة أنك قد تشجعينه على مطارحتك الغرام.»

«لم أكن لأسمح له بذلك إطلاقاً.»

«أقصد. ربما شعر بأن له الحق في أن يقبلك.»

واعترفت قائلة:

«كانت كذبة في أية حال. لم أكن أشعر بأي شيء نحوه. كيف أستلطفه وأنا أحبك؟»

ثم اضافت:

«كنت تعاقبني على مافعلته من قبل؟ أليس كذلك؟»

واعترف بأن هذه هي الحقيقة:

«ان كرامتي لم تتلق أبداً ضربة مثل تلك التي وجهتها لي عندما أعلنت أنني أتسم بشخصية قوية. ولا...»

وتوسلت قائلة:

«لاتستمر. لا بدّ أنني فقدت صوابي لأقول شيئاً من هذا القبيل. انني أعرف الان أنك تركتني أفعل ما أريد لأنك كنت تحبني حباً كبيراً.»

ورفعت عينيها الى عينيه، ورأى أنهما لاتزالان متألقتين بسحابة من الدموع:

«لقد أدركت، بعد أن بدأت أعرفك ثانية، قيمة ما ألقيت به بعيداً. ولم أكن حتى أجرؤ على أن أمل في أن تتاح لي فرصة ثانية.»

ولم يقل سكوت شيئاً. وبعد لحظة استطردت تقول:

«عرفت أنك كنت ترغب في عقابي، وتريد أن تثبت لي أن في استطاعتك أن تكون

سيطراً منسلطاً. ولكن لم تكن بحاجة للذهاب الى حد أن أعتقد أنك عابث.»

ولم يرد على ذلك، وعندما راقبت تعبير وجهه تأكدت أنه عرف فعلا نساء تيرات منذ أن رفضت الزواج به. لقد عرف كل شيء عن النساء في هذه سنوات الأربع. وهكذا لم تكن سخريته مفتعلة. ترى هل شعرت باحباط لأن غيراً واحداً قد حدث بالفعل؟ لقد أزاحته جين من ذهنها وأدركت في الحال أنه يهم إطلاقاً. كان كل هذا في الماضي ولكن المستقبل هو الذي يهم الآن. وكان بد أن تسأل إذا كانت ألما قد نامت في منزل دريفتسوود تلك الليلة؟ شعرت باحساس غامر من الارتياح عندما هز رأسه نافياً. وأضاف بشيء من لقسوة:

لم يكن في نيتي اطلاقاً تركها تنام هنا وحتى في شقتها. كنت أحاول فقط اثارة غيرتك وقد فشلت في هذا على نحو فظيع.»

ولكن الآن كان دور جين لتهز رأسها وقالت:

«ألم أعترف أنني بدأت أدرك بسرعة قيمة مارفضته؟»

«نعم ياحبيبتي. لقد نسيت.»

وضمها بين ذراعيه بحنان ورقة كبيرة، كما كان يفعل في الأيام الأولى وقال:

لا أستطيع اخافتك ياحبيبتي. هل أفهم أنني أروق لك كما أنا؟»

نظرت اليه ثانية وقربت وجهها من وجهه وهمست:

«انك تقوم بالمهمة بكل كفاءة.»

ثم قالت بعد فترة طويلة أصبح فمها فيها أكثر توردا.

«كنت قاسياً...»

«حتى أثبت لك فقط ياعزيزتي أنني لا أفتقر الى القدرة على السيطرة اذا أردت.»

وتوقفت وتجمدت عيناه الزرقاوان.

«قلت انني لا أستطيع إطلاقاً اخافتك، ولكن اذا جاء وقت تصبحين فيه واثقة أكثر مما يجب بالنسبة لتنفيذ كل رغباتك، عندئذ سوف تعرفين جيداً أن لك

www.elromancia.com

سيداً... تذكري. لقد عرفت كثيراً جداً عن النساء خلال السنوات القليلة الماضية، ومن الأشياء الهامة أن أعرف دائماً كيف أكبح جماحهن!»

وغيرت جين الموضوع:

«هل تعرف ياسكوت؟ رغم أنني كنت أقول لنفسي انك تتصرف بالطريقة التي كنت تتصرف بها حتى تنتقم من رفضي عرضك بالزواج فقد بدا لي دائماً...»

وتوقفت لحظة وحاولت أن تجد طريقة لبقة لصياغة كلماتها:

«بدا لي دائماً أن هذه الطريقة ليست من طبيعتك. وكأن مثل هذا السلوك لم يكن سلوكك على الاطلاق.»

كان يومىء برأسه حتى قبل أن تنتهي من كلامها. وأضاف:

«حقيقة أنني كنت أذكرك دائماً بأن لي سيطرة عليك. كان عليّ أن أجعلك تبقين هنا حتى أستطيع كسب حبك. شعرت أنني اذا سمحت لك بأن تخبري ليس عن معرفتي بالخدعة، فربما تقرران أنت وهو مغادرة الجزيرة. أما بالنسبة الى موقفي فانني حرصت على أن أذكرك دائماً أنني مخدومك... »

«رئيسي!»

قالت ذلك بشيء من الحدة وضحك سكوت قائلاً:

«وهو كذلك ياحبيبتي... رئيسك. حسناً. كان كل هذا جزءا من محاولة الظهور بمظهر السيد المسيطر المتسلط كنت فقط أريد أن أكسب حبك.»

«بتلك الطريقة الفظيعة؟»

وشهقت وتلقت نظرة مرحة من سكوت، وذكرها بأنها أوضحت له أن هذا ضروري جداً في الرجل الذي ستتزوجه في النهاية. واستطاعت أن تقول:

«ياالهي. يبدو أنني لن أستطيع أن أكفر عن هذه الغلطة. أستطيع أن...»

وقاطعها سكوت عندما تكلم ثانية وقال:

«قلت لي ان الرجل الذي ترضين به زوجاً يجب أن يستطيع إثبات وجوده.يجب أن يتسم بقدر معين من السيطرة. لا أستطيع أن أتذكر الباقي...»

واستمر يقول غير مكترث بحركات الاعتراض الصغيرة من يدها:

«حسناً ياحبيبتي. كنت فقط أعطيك ماتريدينه. لماذا لم تستجيبي؟ هكذا سألت نفسي.»

وقالت بضعف:

«ادركت أنني في الواقع أريدك كما كنت من قبل.»

«ان هذا هو سلوك حواء... من أين تأتي النساء بعنادهن هذا؟»

ولم تقل جين شيئاً، وأضاف:

«أسف ياعزيزتي جين. ولكن فات الوقت لأكون كما كنت.»

«أعرف...»

ولكنها أضافت بشيء من الدلال وهي ترفع رأسها وتنظر اليه:

«ومع ذلك يوجد عنصر من الاغاظة فيما تقوله لي.»

«حقاً؟»

«نعم... انني أعرف أنك ستكون لطيفاً دائماً معي...»

ولم تكمل كلامها، كانت ذراعاه حولها تسبيان لها ألماً بقدر مانحتانها سعادة، لقد كانتا مسيطرتين بقسوة بقدر ماكانتا ضاغطتين بحنان...

«سكوت...»

شهقت أخيراً عندما سمح لها بأن تتكلم:

«لك تسحقني حتى الموت... قلت انك تحتفظ بعاطفتك المتأججة لجو المساء ري...»

«فعلا... انها كذلك... فاحذري»

ولكنه كان يضحك، وأطاح بها في الهواء ثم رفعها الى أعلى ونظر في عينيها بعاطفة حانية. وأعادها الى قدميها وقال:

«عزيزتي جين... حبيبتي الحلوة. هل هذه حقيقة أم أنه مجرد حلم؟»

ثم اضاف:

www.liilromancia.com

«عندما استيقظت هذا الصباح شعرت كأنه لايوجد أي شيء أعيش من أجله، فرغم أنني قررت تقريباً أن أهددك إلا أنني كنت أعرف أنك اذا أصررت على رفض انذاري فانني لن أسبب أية معاناة للآخرين. والذي ضايقني هو أنك أنت نفسك ربما تدركين هذا، وفي هذه الحالة سيكون تهديدي بدون أية فاعلية. ولكن بالطبع لم تكن لديّ أية فكرة أنك تحبينني.»

وهز رأسه وقالت جين:

«هل تعرف شيئاً ياحبيبي؟ كان كل منا أعمى.»

وأومأ برأسه ومضت تقول:

عن نفسي أعتقد أنني كنت غبية الى أقصى حد، لأن ليس ظل يلمح أنك تهتم بي.»

«صحيح!»

كان سكوت يجذبها اليه ثانية، وكان من السهل معرفة أنه يهتم قليلا أو لايهتم على الاطلاق بليس في هذه اللحظة.

«نعم. لقد أبدى اهتماماً أكثر مني بأشياء معينة مثل قلقك على عدم نومي... هل تذكر أنك عدت بي الى البيت؟»

وأومأ برأسه شارداً وهو يضغط بفمه على خدها...

«ثم كانت مناسبة أخرى عندما نفد البنزين من سيارتي وعدت بي الى البيت ثانية... ثم هناك المناسبة الأخرى عندما... حبيبي هل تستمع اليّ؟»

«نعم...»

وأطلقت جين ضحكة صغيرة سعيدة ووضعت رأسها على كتفه، وبعد قليل قطعت الصمت العميق وقالت:

«أحبك ياأغلى انسان...»

كانت الكلمات الهامسة أشبه بنسيم الصيف الساحر الناعم، قبل أن تجتاحها مرة أخرى دوامة عاطفته المتأججة!